

مَنَاهِجُ الْمَفْسَّرِينَ

من العصر الأول إلى العصر الحديث

الجزء الأول

التفسير بالمأثور

للدكتور / محمود النقراشي السيد علي

الناشر

مكتبة النهضة - القصيم - بريده

هاتف ٢٢٣٥٥٨٨ ص.ب ٨٩٧

فسح وزارة الإعلام برقم ١٩/م/ق
وتاريخ ١١/١٠/١٤٠٦هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان في أحسن تقويم، واختصه بضروب النعم وألوان التكريم، بما أغدق عليه من المنن والعطايا، ما جعله أهلاً للاستخلاف في الأرض.

والصلاة والسلام على رسوله ومجتباه محمد بن عبد الله الذي أجلى معالم الوحي هداية راشدة وجسد معاني القرآن الكريم إلى سلوك فاضل كانت البشرية أحوج ما تكون إليه.

أما بعد :

فلقد روى عن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا أنها ستكون فتن) قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿أنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فأما به﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»^(١).

(١) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن عن علي ٤٣٥/٢. وأخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن الكريم بنفس لفظ الدارمي: ٢٤٥/٤.

وروى الامام أحمد بعضه عن علي : ٩١/١.

ورد ابن كثير ما قيل في الحديث من طريق الحارث الأعور ٥/٤ ملحق والقرطبي: ٤/١.

وبوحى من هدى هذا التوجيه النبوى عن القرآن العظيم، لقى كتاب الله الخالد — القرآن الكريم — من الاهتمام البالغ ما لم يظفر به أي كتاب آخر حفظا واستذكارا، تجويدا وترتيلا، شرحا وتفسيرا تعبدا وتبركا، اعزازا واكبارا، تفكرا وتدبرا، استنباطا لأحكامه، وتجليه لشرائعه، وتخلقا بأخلاقه، وبحثا إلى الطرق الموصلة إلى معرفة معناه.

والقرآن الكريم خليق بذلك لأنه يعطى كل جيل على قدر ما تمكنه منه ثقافته، ويسمو إليه فهمه.

وهو الذي جعل من أتباعه أسوة حسنة، من خلال أقدس فضيلة أصبحت سلوكا حيا لأتباعه أفراداً وجماعات ممن وجدوا في كتابهم نظريات شاملة في واقعية منهجة المتكامل الذي استوعب كل مسائل الفرد والجماعة وجعل قضاياهم محلا للتحليل، وأوجد لهم العلاج الجذرى السريع قال عز من قائل: ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ .. الآية /٨٢/ سورة الاسراء.

وعليه فان العمل في رحاب القرآن الكريم عظيم غاية العظمة، صعب أشد الصعوبة.

عظيم لشفافيته ورقته وقوته، وعظمة أسلوبه ومعناه، وسموه فيما يوحية لقارئية ومتدبرية.

وصعب لعدم الاحاطة بكنهه معناه، الذي تكفل الحق سبحانه وتعالى أن يكون عطاء لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن ثم فان الاشتغال بتفسير القرآن الكريم المبني على الأسس السليمة خير ما يقوم به الإنسان لصالح دنياه وآخرته. لأنه التدبر العملي لآيات القرآن الكريم.

ولما كنت من الذين أنعم الله عليهم بالعمل لخدمة كتابه الكريم، وكان

من بين نواحي خدمة الكتاب الكريم دراسة مناهج أهل التفسير الذين من الله عليهم بأن جعلهم أهل كتابه حفظاً وتبياناً بما بينه به سلفهم الصالح، لينقل كفاية مصوناً مبيناً إلى أمة الاسلام جيلاً عن جيل.

لذلك حرصت على أن أدرس مناهج المفسرين من لدن رسول الله ﷺ باعتباره نبياً ورسولاً بين للناس ما نزل إليهم، إلى عصرنا الحاضر. عارضاً ما قالوه ملتزماً جانب الحيدة ببياناً لوجه الحق.

ولا يظن ظان أنني أدافع عن أهل التفسير، فليس أحدهم موضع تهمة — صدقاً وعدلاً — ولكنه الحق الذي خبأه الزمن قروناً طويلة — ظلماً وافتراءً — من وجهة نظري ووسمته بـ «مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث».

وكان منهجى في عرض هذه الدراسة أن تناولتها مبتعداً ما أمكن عن الخلافات التي لا طائل من ورائها الا شتات الفكر دون ثمار تجنى، وأن أوفق ما اختلف ظاهره عاملاً على لم شمل ما إفترق ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وكل جل اهتمامى أن أرد كيد أعداء الإسلام إلى نحورهم مبيناً كيف وصل التفسير المأثور إلينا مع بيان مراحلها، وكيف جنح اصحاب المدارس المختلفة إلى الاستفادة من هذا المأثور في تأكيد اتجاهاتهم، وإن كان — في بعض الاحيان — هذا الجنوح يخالف ظاهر النص — في نظرنا — مشيراً إلى أنواع التفسير، مبيناً معناها، ثم النشأة، ثم مقدار الثقة بكل نوع.

ولقد حرصت على أن أفند مزاعم المتهمين لبعض المفسرين أنهم أخذوا عن أهل الكتاب مع عدم التفريق بين الغث والسمين، مبيناً أن هذه فريه عارية عن الدليل وأثبتنا نقيضها وذلك بعرض القصص عند أهل الكتاب من كتبهم وما ذكره أهل التفسير حتى يتجلى الحق لكل مبصر.

ثم ذكرت نماذج من كتب المفسرين لأبين منهجهم الذي ساروا عليه دارساً إياه دراسة علمية معقبا عليها بما يبين ما سيقى من أجله.

ولا يسعنى هنا الا أن أقدم عظيم شكرى وتقديرى وعرفانى بفضل كل
من تفضل على بالامداد بالمراجع أو التوجيه أو المراجعة شاكر للجميع ما
طوقوا به عنقي من فضل وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد
يوسف القاسم أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة. فأنا
ثمرة بعض غرسة.

كما أقدم عظيم شكرى وتقديرى إلى فضيلة الدكتور/ عبد الحسيب
رضوان وبارك الله للجميع وحزاهم عنى خير الجزاء.

هذا وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون عملى هذا ذخراً لى يوم
نلقاه. ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمه وهبىء لنا من أمرنا رشدا﴾ وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين.

محمود النقراشى السيد على

المبحث الأول

المبحث الأول

مقدمة في مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث

وتشتمل على ما يأتي :

- التعريف بكلمة: منهج، تفسير، تأويل.
- مدى الحاجة إلى التفسير.
- علم النبي ﷺ وفهم الصحابة للقرآن.
- ما يحتاج إليه المفسرون لكلام الله عز وجل.
- مصادر التفسير في العصر الأول.
- المفسرون من الصحابة.
- حكم تفسير الصحابي.
- خصائص التفسير في العصر الأول.
- مصادر التفسير في العصر الثاني.
- مدارس التفسير في عصر التابعين.
- قيمة التفسير المأثور عن التابعين.
- خصائص التفسير في هذا العصر.
- مراحل التفسير.
- تفسير الآيات الكونية بين المؤيدين والمعارضين.

التعريف بكلمة منهج وتفسير وتأويل

(أ) تعريف كلمة منهج لغة :

(نَهَج) الطريق — نهجا، ونهوجا: وضع واستبان ومنهج الطريق وضوحه.

(والمناهج) كالمنهج وفي التنزيل الحكيم (لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً) من الآية ٤٨ من سورة المائدة. والمناهج الطريق الواضح وإستنهج الطريق صار نهجا (والتَّهَج) البين الواضح. يقال : طريق نهج. وأمر نهج والطريق المستقيم الواضح يقال : هذا نهجي لا أحمده عنه^(١).

(ب) اصطلاحاً :

لقد تداولتها تعريفات عدة ونرى جمعها فيما يلي :
المنهج هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء أو في تعلم شيء طبقاً لمبادئ معينة وبنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة^(٢).

تعريف التفسير :

(أ) لغة: التفسير مصدر فَسَّرَ فهو من مادة (ف. س. ر)، وهذه المادة تدل على الكشف والبيان. يقال : فَسَّرَ الشيء إذا بينه فالتفسير هو التبيين قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) من سورة الفرقان آية ٣٣ أي بيانا وتفصيلاً.

(١) انظر لسان العرب م/ص ٢٢٧ وأيضاً المعجم الوسيط ٩٥٧/٢، غرائب القرآن للنيسابوري ١٠٩/٦، فتح القدير ٤٨/٢.

(٢) انظر معجم المصطلحات العلمية والفنية ملحق بلسان العرب المجلد الرابع ص ٤٩٠.

قال في القاموس (الْفَسْر) الإبانة وكشف المغطى كالتفسير والفعل كضرب ونصر^(١).

وقال صاحب لسان العرب (الْفَسْر) البيان فسّر الشيء يفسّره بالكسر ويفسره بالضم فسراً. وفسّره أبانه والتفسير مثله ثم قال الفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل^(٢).

ومن هذا نعلم أنه في الأصل ليس خاصاً بالقرآن ولكنه شاع وإشتهر منه فإذا أطلق يكون المراد منه بيان المعنى الذي يقصده القرآن سواء في ذلك ما كان حقيقة أو مجازاً.

وفي المعجم الوسيط التفسير الشرح والبيان وتفسير القرآن: من العلوم الإسلامية يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وما إنطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم وأحكام^(٣).

(ب) اصطلاحاً :

لقد كثرت فيه أقوال القوم ونستطيع أن نورد لك ما نراه أقرب إلى الإيضاح عرفه أبو حيان في البحر المحيط بقوله (علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك) ثم شرع في تخريج التعريف فقال: (فقولنا علم، هو جنس يشمل سائر العلوم وقولنا يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن،، هذا هو علم القراءات، وقولنا ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التعريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان وعلم البديع، وقولنا، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، يشمل مادالته عليه بالحقيقة، ومادالته عليه بالمجاز^(٤).

(١) القاموس المحيط ١١٠/٢.

(٢) لسان العرب ٣٦١/٦.

(٣) المعجم الوسيط ٦٨٨/٢.

(٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية موقف من ذلك. انظر مجموع الفتاوى ٤٠٠/٢، ٤٩٠.

فإن التركيب قد يقتضى بظاهرة شيئاً ويصد عن الحمل على ظاهره
صدأً فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على الظاهر وهو المجاز، وقولنا:
وتتمت لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض
ما إنهم في القرآن ونحو ذلك^(١).

تعريف التأويل :

(أ) (التأويل :

التأويل في اللغة مأخوذ من الأول وهو الرجوع.
قال في القاموس (آل إليه أولاً وقال: رجع، وعنه أرتد ...
ثم قال: وأول الكلام تأويلاً وتأوله دبره وقدرة وفسره، والتأويل عبارة
الروءيا^(٢)).

وقال في لسان العرب الأول الرجوع، آل الشيء يوءول أولاً ومآلاً رجع
وأول الشيء رجعته وإلت عن الشيء ارتدت^(٣).

وعليه فيكون التأويل لغة مأخوذ من الأول لمعنى الرجوع إنما هو بإعتبار أخذ
معانية اللغوية، فكأن الموءول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني.
وقيل التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسية فكأن الموءول يسوس الكلام
ويضعه في موضعه^(٤).

(ب) التأويل في الاصطلاح :

التأويل عند السلف له معنيان:

أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواءً وافق الظاهر أو خالفه فيكون
التأويل والتفسير على هذا مترادفان.

(١) البحر المحيط ١/١٣ ، ١٤ .

(٢) القاموس المحيط ٣/٢٣١ .

(٣) لسان العرب ٣/٣٣ .

(٤) أنظر أساس البلاغة ١/١٥ .

ثانيهما هو نفس المراد بالكلام. فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به. وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان. وله الوجود الذهني واللفظي والرسمي. وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلية وهذا في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية لغة القرآن التي نزل بها^(١). وفي الفرق بين التفسير والتأويل أنظر التفسير والمفسرون^(٢) ومقدمة التفسير لشيخ الإسلام^(٣).

مدى الحاجة إلى التفسير.

الناس دائماً تتجاذبهم الأهواء وتختلف لديهم الهوايات البدنية والذهنية والكل أمام هدى الخالق لخلقه «القرآن العظيم» تجتمع الأهواء الشتى حين ذكره باحثين فيما يؤمنون به أنه مناط سعادتهم في دنياهم وأخراهم وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم في عقائدهم وأخلاقهم في عباداتهم ومعاملاتهم، في إقتصادياتهم وسياساتهم، في سلمهم وحربهم. ولا إدراك لهم بهذه المعارف إلا من خلال التفسير لأنه الجسر الموصل إلى هذه المبادئ والمفتاح لهذه الكنوز.

وعليه فحاجة الناس دائماً ماسة إلى تفسير القرآن، ولا يكون ذلك إلا إذا توافرت لديهم أمور لا تتوافر لكثير منهم وتلك الأمور هي:

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣/٢٨٤ : ٢٩٤ وأيضاً ٢٨٣، ٢٨٤، ٣١٢، ٣١٣.

(٢) ١٩/١.

(٣) ٣١٢/١٣، ٣١٣.

١ — إن من الألفاظ ما يكون محتملاً لعدة معان مع أن المراد واحد منها، وكثيراً ما يترك بيان ذلك اعتماداً على القرائن ومن هذه القرائن ما يخفى على بعض الناس.

٢ — إن القرآن في أعلى درجات البلاغة فيجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة وهذا يحتاج إلى بسط مأوَجَز والكشف عما أجمل.

٣ — إن القرآن قد يشمل على مقاصد غير المعاني الظاهرة، فيحتاج ذلك إلى ما يبينها.

٤ — إن الآيات قد نزلت لأسباب ولا يمكن معرفة الآية إلا إذا عرف سبب نزولها. يقول الواحدى: (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها). وقال ابن دقيق العيد (بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معنى القرآن)^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميه (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)^(٢).

٥ — إن في القرآن من الأحكام ما لا يفهم على الوجه الصحيح إلا بمعرفة السُّنة إذ قد يكون مجملاً فتفصله، أو عاماً فتخصصه، أو مطلقاً فتقيده وأيضاً ترى أنها قد استقلت ببعض التشريعات^(٣).

وعليه فإننا نرى أن التفسير هو الذي يوضح ما اشتمل عليه القرآن الكريم من تشريعات وكان علماء الصحابة يأخذون من النبي ﷺ بيان ما خفى من أمره. وكان علماء الصحابة يحرسون كل الحرص على توضيح ما يحتاج إلى إيضاح.

قال ابن عباس: الذي يقرأ القرآن ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذى بالشعر. وقال مجاهد: أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل.

(١) أنظر مناهج الفرقان.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ١٦.

(٣) انظر في ذلك ارشاد الفحول للشوكاني ص ٢٩ وانظر أيضاً التعريف بالقرآن والحديث ص ١٦٤ — ١٦٥.

وقال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون مافي الكتاب. ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجال جاءهم المصباح وقرءوا مافي الكتاب.
وقال الحسن: والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يُعلمَ فيما أنزلت وما يُعنى بها^(١).

(١) انظر «مقدمتان» في علوم القرآن ص ٢٦١.

علم النبي ﷺ وفهم الصحابة للقرآن

يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة القيامة ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ الآية ١٧، ١٨، ١٩. فهذا إعلان من الحق سبحانه وتعالى أنه تكفل بالحفظ والبيان فمن الطبيعي من خلال هذا أن يفهم النبي ﷺ القرآن الكريم جملة وتفصيلاً.

كما كان طبعياً أن يفهم أصحاب النبي ﷺ القرآن الكريم في جملته أي بالنسبة لظواهره وأحكامه أما فهمه تفصيلاً ومعرفة دقائق باطنه بحيث لا تغيب عنهم شاردة ولا واردة فهذا غير ميسور وهاك بعض النماذج على ذلك.

تفاوت الصحابة في فهم معنى القرآن :

= ومما يشهد لهذا الذي ذهبنا إليه ما أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (وفاكهة وأباً) فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر^(١).

= وأيضاً ما روى من أن عمر كان على المنبر فقرأ (أوياخذهم على تخوف) ثم سأل عن معنى التخوف فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص^(٢).

= وأيضاً ما ذكره السيوطي من أن ابن عباس قال: (كنت لأدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان متخاصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتهما، والآخر يقول: أنا ابتدأتها)^(٣).

(١) فضائل القرآن مخطوطة برلين لوحة رقم ٥٠ باب تأويل القرآن بالرأى وما في ذلك من الكراهية والتغليظ.

(٢) الموافقات ٨٧/٢.

(٣) الاتقان ١١٣/٢.

= وأيضاً ما رواه البخارى أن عدى بن حاتم لم يفهم معنى قوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(١). وبلغ من أمره أن أخذ عقلاً أبيض وعقلاً أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبيناً فلما أصبح قال يا رسول الله جعلت تحت وسادتي قال: (إن وسادك إذن لعريض إن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك)^(٢).

= وكذلك ما روى أن قدامه بن مظعون عامل عمر على البحرين شرب الخمر فقال عمر: إني جالدك فقال والله لو شربت كما يقولون ما كان لك أن تجلدني.

لأن الله يقول ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣). وأنا من هؤلاء، لأنني شهدت مع رسول الله ﷺ بَدْراً وأحداً والخندق فقال عمر: ألا تردون عليه؟ فقال ابن عباس: إن هذه الآيات نزلت عذراً للماضين وحجة على الباقيين، لأن الله تعالى يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾^(٤). فقال عمر صدقت^(٥).

ومن هذا يتضح لك أن الصحابة كان يختلف بعضهم عن بعض في فهم القرآن الكريم تبعاً لإمكانية كل منهم.

وعليه فلا مجال هنا لما زعمه ابن خلدون من أن العرب جميعاً كانوا يفهمون القرآن جميعه إذ يقول: وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة

(١) الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

(٢) أخرجه البخارى ٣١/٦ كتاب التفسير.

(٣) الآية ٩٣ من سورة المائدة.

(٤) الآية ٩٠ من سورة المائدة.

(٥) انظر الموافقات ٢٠٣/٣.

العرب وعلى أسباب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمون ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه^(١).

ولعل ابن قتيبة وهو ممن قدم على ابن خلدون بعدة قرون يدرك ما أوضحناه سابقا إذ يقول:

إن العرب لا تستوى في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه^(٢). وبهذا نرى مدى علم الرسول ﷺ للقرآن جملة وتفصيلا من خلال ما أوضحناه وكذا تفاوت الصحابة رضوان الله عليهم في فهم معنى القرآن العظيم ولا يلتفت لمن شذ.

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٢١٤.

(٢) انظر اعلام الموقعين ٦١/١.

ما يحتاج إليه المفسرون لكلام الله عز وجل

حتى يتهيأ التوفيق للمفسر في تبيان كلام الله عز وجل، فإنه يجب أن تتوفر له مجموعة من الصفات والمعارف والأدوات وفيما يلي أهمها :

أولاً : أن يكون عالماً بظاهر التزيل عارفاً باختلاف القراءات وما يختلف به المعنى بها وما لا يختلف.

ثانياً : أن يكون عارفاً بلغة العرب وطريقة النحو والإعراب.

ثالثاً : أن يكون عالماً بأبواب السر من الإخلاص والتوكل والتفويض والأذكار الباطنة التي افترضها الله تعالى على عباده، وما يصلح الأعمال وما يفسدها، وبآفات الدنيا ومعائب النفس وسبيل التوقي من فسادهما، ليتأتى له تفسير الآيات المنتظمة لهذه المعاني.

رابعاً : أن يكون عالماً بأحكام الشريعة من العبادات والمعاملات والسنن الواردة فيها ليضع الآيات التي تنتظم هذه الأحكام مواضعها.

خامساً : أن يعرف الأقايص والأخبار وشأن نزول الآيات ليحمل كل آية على ما يقتضيه نزولها وليفرق بين الناسخ والمنسوخ بذلك.

سادساً : أن يحفظ مع الفهم أقاويل المفسرين من السلف ومن تابعهم فإن ذلك أهدى له فيما يريد وأدنى إلى الصواب فيه.

سابعاً : أن يكون جيد القريحة ذكي الفهم قوى الفكرة، فإن البليد قد يتقاعد عن فهم ما يبين له، فكيف يستبطن ما لم يبين له؟.

ثامناً

:أن يكون مفوضاً أمره إلى الله تعالى متضرعاً إليه دائماً أن
يلهمه الرشd والتوفيق ويحذر الإعجاب بنفسه والإثكال على
عقله، وجودة قريحته فإن المعجب مخدول.

تاسعاً

:أن يكون من أهل الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فإن كل
أحد محوط بما هو طالبة فمن رغب في الدنيا إنصرف قلبه
إليها فيكون عبداً إلى ما تهوى نفسه فيضل بنفسه ويضل غيره.

عاشراً

:أن يضع نصب عينيه ماضيه الله سبحانه وتعالى مثلاً للعالم
المنكب على الدنيا منسلخاً عن وحي ربه فجعل مثله مثل
الكلب حيث قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف الآية رقم
١٧٥، ١٧٦ ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ
أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ
عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.
فكيف يوفق من هذه حاله من الإخلاد إلى الأرض وإتباع
الهوى لإستباط الصواب.

مصادر التفسير في العصر الأول

لايسع الباحث في مجال مناهج المفسرين إلا أن ينظر بعمق صادق إلى ما كان عليه من سنوا الأسس التي أوقف عليها رسول الله ﷺ الصحابة فصاروا لمن بعدهم هداة موجهين. لتوضيح الطريق أمام سالكية وليكون ماقاموا به نبراساً يجب الإحتذاء به لمن أراد أن يتعد عن الشطط والهوى.

وهاك ماكان عليه التفسير في العصر الأول :
كان الصحابة في هذا العصر يعتمدون في تفسيرهم للقرآن الكريم على مصادر أربعة:

أولاً : القرآن الكريم.

ثانيا : النبي ﷺ.

ثالثا : الإجتهد وقوة الإستباط.

رابعا : أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد أوضحنا لك موقف شيخ الاسلام ابن تيميه من هذا المصدر ص ١١١، ١١٣ ومعالجتنا له ص ١٥١، ١٦١.

ونوضح هذا الاجمال ببعض الايضاح فنقول :

المصدر الأول: تفسير القرآن بالقرآن :

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه (إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد يفسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر^(١)).

نعم على من يتعرض لتفسير القرآن أن ينظر في القرآن أولاً فيجمع ماتكرر منه في موضع واحد ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستبين بما جاء مسهباً على معرفة ماجاء موضحاً وبما جاء مبيناً على فهم ماجاء مجملأ، وليحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص. وبهذا يكون قد فسر

(١) مجموع فتاوى ٣٦٣/١٣.

القرآن بالقرآن وحاول أن يقرب مراد الله بما جاء عن الله عز وجل، وهذه المرحلة لايجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها والتجربة تثبت أن من حاول الابتعاد عن هذه المرحلة توشك أن تنزلق قدماه إن لم تكن قد إنزلت بالفعل وهذا مانراه واضحاً فيما هو آت.

ومن تفسير القرآن بالقرآن أن يحمل المجمل على المبين ليفسره ومثال ذلك تفسير قول الله سبحانه وتعالى في سورة النساء ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيماً﴾ الآية ٢٧، بأهل الكتاب لقوله سبحانه وتعالى في السورة نفسها ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيلا﴾ الآية ٤٤.

وأيضاً ماجاء في قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ الآية ٣٧ فسرناها الآية ٢٣ من سورة الأعراف في قوله سبحانه ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

المصدر الثاني : النبي ﷺ :

يقول شيخ الإسلام (...) فإن أعياك ذلك — يقصد القرآن الكريم — فعليك بالسنة فإنها شارحه للقرآن وموضحة له بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي كل ماحكم به الرسول فهو مما فهمه من القرآن^(١).

لأنه ﷺ كما وصفه الحق سبحانه وتعالى بأنه القائم على بيان القرآن الكريم فقال ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾^(٢).

ومن خلال هذا التوجيه الإلهي فلقد كان الصحابة يرجعون إلى رسول الله ﷺ إذا أشكلت عليهم آية من كتاب الله بين لهم ﷺ ماخفى عليهم.

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٣/٣٦٣. مقدمة التفسير.

(٢) الآية ٤٤ من سورة النحل.

ويوضح ذلك رسول الله ﷺ فيما يرويه المقدام بن معد يكرب أنه قال: قال رسول الله ﷺ (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله^(١)).

والناظر في كتب السنن يجدها قد أفردت للتفسير باباً من الأبواب التي إشتملت عليها ذكرت فيه كثيراً من التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ.

فلقد أفرد الإمام البخارى في صحيحه كتاباً للتفسير ٢٠/٦ : ٢٤٥.

والإمام مسلم في صحيحه كتاب التفسير ٢٣١٢/٤ : ٢٣٢٣.

والترمذى كتاباً للتفسير ١٩٩/٥ : ٤٥٥.

ومثال ذلك تفسير غير المغصوب عليهم باليهود والنصارى^(٢).
وستجد أمثلة ذلك كثيرة.

تنبيه :

لقد بين رسول الله ﷺ ما خفى وما عمى على القوم وما أشكل عليهم ولا أرى وجهاً لمن أنشأ الخلاف في المقدار المبين من النبي ﷺ وإذا كان مثبتي مثل هذه القضايا يزجون ببعض الأعلام فأرى أنه من المصلحة أنه قبل أن يصنف الناس إلى فرق على المصنف أن يقرأ كل ما ذكره هؤلاء الأعلام.

وأنظر معي إلى ما يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول (إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان قد فسر في موضع آخر وما أختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ... إلى أن قال إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي إختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح...^(٣)).

(١) الحديث والمحدثون ص ١١. والمستدرك للحاكم ١٠٩/١.

(٢) أخرجه بطوله الترمذى ٢٠٢/٥ : ٣٠٤.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٦٣/١٣ : ٣٦٥.

المصدر الثالث : الإجتهد وقوة الإستنباط عند الصحابة :
لا بد أن تعلم أن هذا المصدر كان يعول عليه إذا أفتقد سابقه وتحققت
لمن قال به أمور أربعة :
أولاً : معرفة أوضاع اللغة وأسرارها.
ثانياً : معرفة عادات العرب.
ثالثاً : معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن.
رابعاً : قوة الفهم وسعة الإدراك^(١).

المصدر الرابع : أهل الكتاب من اليهود والنصارى :
من المعلوم أن القرآن الكريم متفق كثيراً مع التوراه والإنجيل في بعض
القصص بيد أن القرآن الكريم يتخذ منهما ما يخالف منهج كل منهما فلم
يتعرض لتفاصيل جزئيات المسائل بل جُل ما يهتم به موضوع العبرة فقط؛
وعليه فإن ما جبل عليه الإنسان من إستيفاء الأخبار جعل بعض الصحابة
يرجعون في إستيفاء القصص من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب
الأخبار وغيرهم، فيما ذهب إليه أهل هذا العلم، انظر الدراسة المستفيضة
ص ١١١، ١١٣، ١٥١، ١٦١.

(١) انظر التفسير والمفسرون ٥٨/١.

«المفسرون من الصحابة»

ولكي لاتفوت الفائدة نرى أن نلقى بعض الضوء على من إشتهر بتفسير القرآن من الصحابة لنحرص جميعاً على الاقتداء بمسلكتهم في مجال خدمة القرآن العظيم.

ولقد عدد السيوطي في الإتقان من إشتهر بالتفسير من الصحابة وهم الخفاء الأربعة وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وجزاهم عنا أعظم الجزاء. وهاك تعريف مجمل لكل منهم مشيراً إلى مصادر ترجمته مقتصراً على أربعة فقط وذلك لكثرة الرواية عنهم في التفسير.

١ — علي بن أبي طالب :

هو علي بن أبي طالب أمير المؤمنين أبو الحسن قاضي الأمة وفارس الإسلام جاهد في الله حق جهاده نهض بأخبار العلم والعمل أول من أسلم من الأحداث وقصة إسلامه معروفة أستشهد في سنة ٤٠ هـ.^(١)

٢ — عبد الله بن عباس .

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمي الإمام البحر حبر الأمة عالم العصر الأول ابن عم رسول الله ﷺ دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل ولد والنبي ﷺ وأهل بيته بشعب مكة فجاءوا به للنبي ﷺ فحنكه بريقه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات وتوفي سنة ٦٨ هـ.^(٢)

(١) له ترجمة في: أسد الغابة ٩١/٤، الاصابة ٥٠١/٢، تاريخ بغداد ٣٣/١، تذكرة الحفاظ ١٠/١، طبقات القراء ٥٤٦/١، النجوم الزاهرة ١١٩/١.

(٢) له ترجمة في: أسد الغابة ٢٩٠/٣، الاصابة ٣٢٢/١، تاريخ بغداد ١٧٣/١، تذكرة الحفاظ ٤٠/١، طبقات القراء ٤٢٥/١، خلاصة تهذيب الكمال ص ١٧٣.

٣ - عبدالله بن مسعود .

هو عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي خادم النبي وأحد السابقين ومن كبار البدرين ومن النبلاء الفهاء المقرئين. كان ممن تحرى في الأداء وتشدد في الرواية وكان من أوعية العلم وأئمة الهدى وهو أول من جهر بالقرآن بمكة المكرمة وأسمعه قريشا بعد رسول الله. توفي^(١) سنة ٣٢ هـ.

٤ - أبي بن كعب :

هو أبي بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاري الخزرجي أقرأ الصحابة شهد بداراً والمشاهد وقرأ القرآن على النبي ﷺ. توفي سنة ١٩ هـ على الأكثر.^(٢)

هؤلاء هم من قامت على كواهلهم المدارس التفسيرية فيما بعد .

حكم تفسير الصحابي :

إن تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول ولم يكن للرأي فيه مجال وخاصة فيما يتعلق بشئون اليوم الآخر فهذا مما لايجوز العدول عنه إلى غيره بأية حال.

وأما ما حكم عليه بالوقف فالأولى الأخذ به والرجوع إليه لظن سماعه له من رسول الله ﷺ حتى ولو كان التفسير برأية فالتعويل عليه أولى^(٣).

خصائص التفسير في العصر الأول :

أولاً : لم يفسر القرآن جميعه وإنما فسر بعض منه كما أوضحنا (وما يجب الخلاف ذلك).

(١) له ترجمة في: أسد الغابة ٢٨٤/٣، الإصابة ٢٦٠/٢، تاريخ بغداد ١٤٧/١، تذكرة الحفاظ ٣١/١.

(٢) له ترجمه في: أسد الغابة ٦١/١، الإصابة ٣١/١، تذكرة الحفاظ ١٦/١، طبقات القراء ٣١/١.

(٣) انظر في ذلك تدريب الراوى ٦٤. ومعرفة علوم الحديث ١٩ والحديث والمحدثون.

- ثانياً :كانوا كثيراً مايكتفون بالمعنى الإجمالي.
ثالثاً :إعتمادهم على التلقى والتلقين.
رابعاً :ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية.
خامساً :عدم التدوين إلا ماكان من صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص فيما سنوده فيما هو آت.
سادساً :إدماج التفسير مع الحديث فلقد كان جزءاً منه وفرعاً من فروعهِ.

مصادر التفسير في العصر الثاني (عصر التابعين)

بعد إنقضاء المرحلة الأولى للتفسير على ماذكرنا ولتظل الحلقة مترابطة في بيان إيضاح ماعمى من معنى القرآن تبدأ المرحلة الثانية للتفسير على يد التابعين الذين تتلمذوا للصحابة فنقلوا غالب معلوماتهم عنهم في إستجلاء بعض ماخفي من كتاب الله سبحانه وتعالى حتى يتسنى لهم إيضاحه لمعاصريهم.

ولقد كان جل إعتمادهم في بيان ذلك على ما بين القرآن الكريم القرآن. وعلى ماروى عن الصحابة عن رسول الله ﷺ أو عن أنفسهم.

وعلى مأخذوه من أهل الكتاب، ومايلهمهم الحق سبحانه وتعالى من فتوحه عليهم من طريق الإجتهد والنظر في كتاب الله تعالى.

بيد أن الأمر لم يقف عند هذا فلقد روت كتب التفسير كثيراً من أقوال أصحاب هذه المرحلة من التابعين قالوها بطريق الرأى والإجتهد. فيما لم يصل إلى علمهم فيه شيء عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم.

ومن المعلوم أن النبي لم يبين كل معاني القرآن الكريم وألفاظه وإنما كان المبين منه ﷺ ما إحتاج إلى بيان أو ماعمى فهمه كما أوضحنا سابقاً مآذهنا إليه في هذا المجال من خلال مأرتاه شيخ الإسلام ابن تيميه.

وعليه فلقد كانت حاجة المشتغلين بالتفسير من التابعين أن يكملوا مااحتاج إلى بيان فزادوا في التفسير بمقدار الحاجة معتمدين على ماذكرنا سابقاً.

وما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في نزول القرآن الكريم وعلى ما عرفوه من لغة العرب.

ومن المعلوم أن الصحابة لم يستقروا جميعا في بلد واحد بل تفرقوا إلى

الأمصار موزعين على جميعها ولقد حملوا معهم إلى هذه الأمصار التي رحلوا إليها ما وعوه من العلم مما حفظوه عن رسول الله ﷺ فجلس إليهم كثير من التابعين — في هذه الأمصار — يأخذون العلم عنهم وينقلونه لمن بعدهم فقامت في هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية على يد الصحابة تتلمذ فيها كثير من التابعين.

مدارس التفسير في عصر التابعين :
أشهر هذه المدارس في مبلغ علمنا ثلاث المدرسة المكية والمدنية؛ والكوفية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (أما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس وابي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم. وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ومن ذلك ماتمیزوا به عن غيرهم.

وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير وأخذ عنه ابنه عبد الرحمن وأخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب^(١). وهاك بعض الإيضاح لذلك.

أولاً : مدرسة التفسير بمكة المكرمة :
لقد قامت هذه المدرسة على يد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ومن أشهر من تتلمذ عليه سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وطاووس بن كيسان اليماني وعطاء بن رباح.

ثانياً : مدرسة التفسير بالمدينة :
قامت هذه المدرسة على يد أبي بن كعب الذي يعد أشهر من تتلمذ عليه كثير من التابعين بالمدينة رغم وجود عدد ليس بقليل

(١) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٤٧/١٣ مقدمة التفسير.

فيها من الصحابة وذلك لكثرة ما روى عنه في التفسير وأشهر من تتلمذ عليه زيد بن أسلم وأبو العالیه ومحمد بن كعب القرظي.

ثالثاً : مدرسة التفسير بالكوفة :

قامت هذه المدرسة على يد عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فهو الذي أرسله أمير المؤمنين عمر معلماً ووزيراً لعمار بن ياسر حين ولاه على الكوفة وكان لهذه المدرسة مالم يكن لسابقتها فلقد تأثر أهل العراق بما وضعه ابن مسعود من استدالات عقلية فيما يرى العلماء.

وكان من نتائج ذلك ان كثر تفسير القرآن الكريم بالرأى والاجتهاد واشهر من تتلمذ عليه علقمه بن قيس ومسروق والأسود وابن يزيد ومرة الهمزاني وعامر الشعبي والحسن البصري وقتادة ابن دعامة السدوسي.

قيمة التفسير المأثور عن التابعين

لقد ذهب أكثر المفسرين إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير لأن التابعين نقلوا أغلب تفسيراتهم عن الصحابة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنه ولا وجدته عن الصحابه فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبير فإنه كان آية في التفسير وكسعيد بن جبير وعكرمه مولي ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب وأبي العالية والربيع بن أنس وقتاده والضحاك ابن مزاحم وغيرهم من التابعين ... ثم يقول قال شعبة بن الحجاج وغيره (أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم. وهذا صحيح.

أما إذا أجمعوا على شيء فلا يرتاب في كونه صحيحاً^(١).

خصائص التفسير في هذا العصر :

أولاً : دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات وذلك لكثرة من دخل في الإسلام من أهل الكتاب.

ثانياً : احتفظ التفسير بطابع التلقى والتلقين.

بيد أن هناك خلافاً واضحاً بينه وبين سابقة حيث غلب عليهم طابع الاختصاص فأهل كل مصر يعنون برواية مصلحهم من الصحابة أصحاب المدارس.

ثالثاً : ظهور المذاهب التي أظهر كل من انتمى إلى مذهب تفسيرات تؤيد مذهبه.

رابعاً : ازداد الخلاف بين التابعين في التفسير على غير ماكان عليه الصحابه.

(١) مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ٣٦٨/١٣ ٣٧٠ مقدمة التفسير.

مراحل التفسير

من المعلوم أن التفسير مرّ بمراحل من عصره الأول إلى العصر الحديث
نوجزها فيما يلي:

أولها :التلقى والتلقي.
فالصحابه رضی اللہ عنہم يروون عن رسول الله ﷺ كما يروى
بعضهم عن بعض والتابعون يروون عن الصحابة كما يروى
بعضهم عن بعض بطريق الرواية. كان ذلك في عصر النبي
والصحابه ومن عاصرهم من التابعين.

ثانيها :حين ابتدأ التدوين للحديث الشريف فكان يجمع التفسير على
أنه باب من أبوابه.

ثالثها :انفصل التفسير عن الحديث ووضع التفسير لكل آيه من القرآن
ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف وتم ذلك على يد
طائفة من العلماء وقد اختلف أصحاب التراجم في أول من فسّر
القرآن بطريق الترتيب المصحفي للرسم العثماني فنجد ابن
النديم يقول (كان السبب في املاء كتاب الفراء في المعاني أن
عمر بن بكير كان من أصحابه وكان منقطعا إلى الحسن بن
سهل فكتب إلى الفراء أن الأمير الحسن بن سهل ربما سألتني
عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جوابا، فإن
رأيت أن تجمع لي أصولا أو تجعل في ذلك كتابا أرجع إليه
فعلت، فقال الفراء لأصحابه اجتمعوا حتى أملى عليكم كتابا في
القرآن وجعل لهم يوما، فلما حضروا خرج إليهم وكان في
المسجد رجلا يؤذن ويقرأ بالناس في الصلاة فالتفت إليه الفراء
فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب ففسرها. ثم نوفي الكتاب كله، فقرأ

الرجل ويفسر الفراء. قال أبو العباس : لم يعمل أحد قبله مثله
ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه^(١)

فهل نستطيع أن نستخلص من ذلك أن الفراء المتوفي سنة
٢٠٧ هـ أول من دون تفسيراً جامعاً لآيات القرآن حسب
الترتيب المصحفي للرسم العثماني.

لا . لانستطيع ذلك حيث أننا نجد في تهذيب التهذيب لابن
حجر عندما ترجم لعطاء ابن دينار المصرى يقول: عن أحمد بن
صالح. عطاء بن دينار من ثقات المصريين وتفسيره فيما يروى
عن سعيد بن جبير صحيفة وليس له دلالة على أنه سمع من
سعيد بن جبير.

وقال أبو حاتم: صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من
الديوان وكان عبد الملك ابن مروان المتوفي سنة ٨٦ هـ سأل
سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بهذا
التفسير فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن
سعيد بن جبير^(٢).

ولعل هذا أوضح من سابقة في أنه قد كتب سعيد بن جبير
تفسيراً لعبد الملك بن مروان المتوفي سنة ٨٦ هـ وعليه فإننا
نأخذ بالمتقدم.

وأيضاً فقد قيل أن ابن ماجه المتوفي سنة ٢٧٣ هـ قد دون
تفسيراً وأيضاً معلوم ان بين يدينا جميعاً كتاب الطبرى المتوفي
سنة ٣١٠ هـ وهناك أيضاً لأبى بكر بن المنذر النيسابورى
المتوفي سنة ٣١٨ هـ وغيره من أئمة هذا الشأن.

(١) أنظر الفهرست لابن النديم ص ٩٩.

(٢) تهذيب التهذيب ١٩٨/٧.

وكل هذه التفاسير مروية بالأسانيد إلى رسول الله ﷺ وإلى الصحابة والتابعين وليس فيها شيء من التفسير أكثر من المأثور.

بيد أن ابن جرير الطبري قد وسع حيث ذكر الأقوال ثم وجهها ورجح بعضها على بعض واستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآيات القرآنية^(١).

ومما هو جدير بالذكر من خلال ما عرضناه أن التدوين لم يتم في المرحلة الأولى بين يدي النبي ﷺ. علماً بأنه لم يكن بين مرحلتى التدوين الكتابي والتلقى والتلقين الزمن الطويل كما اتضح لك مما عرضناه. وخاصة فيما يشته المؤرخون من صحيفة عبدالله بين عمرو بن العاص التي تسمى الصادقة لأنه ليس بينه وبين رسول الله ﷺ فيها أحد. وهي موجودة في مسند الإمام أحمد^(٢).

رابعها: لقد وجد من تجاوز هذا فإختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين الأول دون أن ينسبوا لقائلها فالتيس الصحيح بالعليل وأصبح الأمر مشاعاً وأباح البعض لنفسه أن يورد أقوالاً من عند نفسه دونما أدنى تحر لصواب فيما يذكر ويتضح ذلك مما يرويه السيوطي من أن بعضهم ذكر في تفسير

(١) أنظر التفسير والمفسرون ١/١٤١.

(٢) أنظر مسند الإمام أحمد تحقيق الأستاذ أحمد شاکر ص ٢٣٥ الجزء التاسع والجزئين العاشر والحادى عشر بكمالهما والثاني عشر إلى ص ٥١. وأنظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص ١٩. وأنظر الحديث والمحدثون ص ١٤٣ وفيه وروى ابن سعد عن مجاهد انه قال: رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة وسألته عنها فقال: هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بينى وبينه فيها أحد.

غير المغضوب عليهم عشرة أقوال، مع أن تفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن رسول الله ﷺ^(١). ولقد رزئت أمه الإسلام من العصر العباسي إلى يومنا هذا بمن نمت هذا الخطر بجهود مضية عاملا على اختلاط الفهم العقلي بالتفسير النقلى، وكان ذلك على هيئة محاولات من خلال تأثرهم بالمعارف المختلفة والعلوم المتنوعة والآراء المتشعبة والعقائد المتباينة حتى أصبح الناس ينظرون في بعض كتب التفسير فيجدون فيها كل شيء ماعدا التفسير.

هكذا تدرج التفسير وانتهجت الكتب المؤلفة هذا النهج، فإن كل من برع في فن يكاد يقصر تفسيره على مالدية من معارف فيما أجاد من فن.

—فالنحوى :

نراه يصب عظيم فكره في الإعراب بذكر مسائل الخلافات النحوية كالزجاج^(٢)، والواحدى^(٣) وأبي حيان^(٤).

(١) الاتقان ١٩٠/٢.

(٢) هو إبراهيم بن السرى بن سهل أبو اسحاق الزجاج توفى سنة ٣١١ هـ من علماء العربية ومن أهل الفضل، حسن الاعتقاد.

وكتابه «معانى القرآن» من أجل الكتب في هذا الفن — من المأثبات — يقول ابن النديم وقرأت على ظهر كتاب المعاني : بدأ أبو اسحاق املاء كتابه الموسوم بمعانى القرآن في صفر سنة ٢٨٥، واتممه في شهر ربيع الأول سنة ٣١١ هـ، وقد طبعته الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بمصر.

(٣) هو على بن احمد بن محمد ابو الحسن الواحدى النيسابورى توفى ٤٦٨ هـ عالم العربية وصاحب المؤلفات النافعة، كان أوحد عصره في التفسير صنف في التفسير البسيط، والوسيط والوجيز.

(٤) هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حبان الأندلسى الغرناطى، عالم السيرفيه توفى سنة ٧٥٤ هـ وكتابه التفسير الكبير المسمى «بالبحر المحيط» يعتبر من المراجع المهمة لمن يريد أن يقف على وجوه الاعراب لألفاظ القرآن الكريم، وقد طبع في ثمانى مجلد كبار.

—والعقدي :

نراه لاهم له إلا أقوال الحكماء والفلاسفة في ذكر شبههم والرد عليها
كالفخر الرازي^(١).

—والفقيه :

نراه قد عني بتقرير الأدلة الفقهية والرد على من يخالف مذهبه
كالجصاص^(٢)، والقرطبي^(٣) والهراس^(٤).

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين ابو عبد الله القرشي البكري التيمي توفي سنة ٦٠٦ هـ المفسر المتكلم امام ثقة في العلوم العقلية صاحب المصنفات قال ابن الصلاح: (اخبرني القطب الطوعاني مرتين أنه سمع الامام الفجر يقول ياليتني لم اشتغل بعلم الكلام وبكى) وكتابه التفسير الكبير يقع في ستة عشر مجلد ومطبوع ومتداول.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي الشهير بالجصاص توفي سنة ٣٧٠ هـ، كان امام الحنفية في وقته له مصنفات كثيرة، وكتابه «أحكام القرآن» من أهم كتب التفسير الفقهى عند الحنفية والكتاب مطبوع في ثلاثة مجلدات.

(٣) هو محمد بن أحمد بن فرج القرطبي، أبو عبد الله توفي سنة ٦٧١ هـ من العلماء العاملين الزاهدين في الدنيا له مؤلفات كثيرة في أنواع المعرفة، وكتابه «الجامع لأحكام القرآن» من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، وإن كان صاحبه ملكي المذهب إلا أنه لا يتعصب له، والكتاب طبع عدة طبعات في عشرين مجلد من الحجم الكبير.

(٤) هو عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكنيا الهراس توفي سنة ٥٠٤ هـ من علماء الشافعية، وكتابة «أحكام القرآن» يعتبر من أهم كتب التفسير الفقهى عند الشافعية والكتاب مطبوع بتحقيق موسى محمد علي والدكتور عزت عطية.

—والمؤرخ :

نراه لا شغل له إلا القصص وذكر أخبار عمن سلف كالثعلبي^(١)
والخازن^(٢).

—والصوفي :

نراه يقصد إلى ناحية الترغيب والترهيب وإستخراج المعاني الإشارية من
الآيات القرآنية بما يتفق مع مشاربه، كابن عربي^(٣) وأبي عبد الرحمن
السلمي^(٤).

(١) هو احمد بن ابراهيم أبو اسحاق النسابورى الثعلبى توفي سنة ٤٢٧ هـ كان أوحده زمانه
في علم القرآن وكتابه «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» مخطوط بمكتبة جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض.

(٢) هو على بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل التيمى اشتهر بالخازن توفي سنة
٧٤١ هـ كان من العلماء الأجلاء له المصنفات المفيدة وكتابه « لباب التأويل في
معاني التنزيل» وقد اختصره من معالم التنزيل البغوى، وأضاف إليه من تفاسير من
تقدمه وقد ذكر ذلك في مقدمته والكتاب مطبوع في أربعة مجلدات.

(٣) هو أبو بكر مجد الدين محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي
الاندلسي المعروف بابن عربي بدون ادات تعريف تفريقا بينه وبين القاضي أبي بكر
ابن العربي صاحب كتاب «أحكام القرآن» توفي سنة ٦٣٨ هـ، شيخ الصوفية في
وقته، ولشيخ الاسلام بن تيمية موقف منه لقوله بوحدة الوجود، والتفسير المنسوب
إليه مطبوع في مجلدين، وطبع على هامش «عرائس البيان في حقائق القرآن
للشيرازي والناس حيال نسبة التفسير إليه فريقان:

الأول: يعتقد أن هذا التفسير من عمل ابن عربي نفسه.

الثاني: يعتقد أن هذا التفسير من عمل عبد الرزاق القاشاني وانما نسب التفسير
لابن عربي ترويجا له بين الناس، وأيد هذا القول الدكتور محمد حسين الذهبي.

(٤) هو ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدى السلمى توفي سنة ٤١٢ هـ
هـ شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، خلف من الكتب مايزيد على المائة، وكان
على جانب كبير من العلم بالحديث، وتفسيره «حقائق التفسير» يقع في مجلد
واحد كبير الحجم وهو مخطوط بمكتبة الأزهري الشريف.

—والبدعي^(١):

نراه ليس له مأرب إلا أن يؤول كلام الله وينزله على مذهبه الفاسد كالرمانى^(٢) والطبرسى^(٣).

—الإجماعى :

غلب هذا اللون على التفسير في عصرنا الحضار وهفا إليه الناس أفراداً وجماعات لما شفى من نفوسهم أمراضاً أحدثتها أدوات المادية الخبيثة وذلك يتضح جلياً فيما قام به الأستاذ الشهيد سيد قطب^(٤) في ظلال القرآن.

فلقد حاول أن يعيد أمة الإسلام إلى اعمال القرآن الكريم في مناحى حياتها الدنيوية ليعبروا به آمنين إلى آخرتهم، بعبارة أدبية رائعة تأخذ بتلايب المرء وتملك عليه فؤاده ومشاعره.

(١) انظر التفسير والمفسرون ١٤٦/١ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه

٣٥٤/١٣ : ٣٦٢ وأيضاً ٣٨٥/١٣ : ٣٨٨ مقدمة التفسير.

(٢) هو على بن عيسى بن على بن عبد الله أبو الحسن الرمانى النحوى توفى سنة ٣٨٤

هـ ويعرف بالاختشيدى والوراق، وهو بالرمانى أشهر معتزلى الف التفسير وغيره.

(٣) هو أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى توفى سنة ٥٣٨ هـ من علماء الشيعة وهو

في أغلب الأحيان يحاول أن يطوع آيات القرآن الكريم لمذهبه، وكتابه مجمع البيان في تفسير القرآن» من الكتب التي تمثل المذهب والكتاب مطبوع في عشرة مجلدات.

(٤) هو رائد هذا اللون من التفسير، وهو عالم معاصر جاهد في سبيل عقيدته استشهد

عام ١٩٦٦م وكتابه في ظلال القرآن أشهر من أن تحيط به هذه النبذه وقد طبع في ستة مجلدات كبار.

وكذا ما فعله الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري^(١) في صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم فيما جمعه من معلومات لاغنى لأى منتسب إلى الاسلام عن معرفتها خاصة في هذا الوقت الذي تتلاطم فيه أمواج المفسدين على الناس حياتهم بتياراتهم الإلحادية التي لا تفتر صباح مساءً في طرق آذان الشباب أعاذنا الله والشباب من فتنها كما نتضرع إلى الحق سبحانه وتعالى أن يهيء من يتمم مابدأه الشيخ الدوسري عليه رحمة الله.

— الكوني :

عرف هذا اللون عند العلماء باسم التفسير العلمي أو تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم وأخطر ما في هذا اللون التسرع في تأييد النظريات التي لم تثبت يقيناً بل ويتطرف البعض فيعمد إلى لى عنق الآيه القرآنية ليؤيد بها نظرية ما وهذا هو الخطر في هذا الجانب.

ومع هذا فلقد كثر كلام الناس في هذا اللون قديماً وحديثاً نرى من الأهمية بمكان أن نلقى الضوء عليه من خلال المؤيدين والمعارضين له مع بيان مدى الإستفادة منه في هذه العصور عصور التقدم العلمي والتكنولوجيا خاصة وأنه قد ثبت أن في القرآن مايقرب من ٧٥٠ آيه صريحة في علوم الكونيّات.

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الفهد آل نادر الدوسري من علماء نجد وفضلائهم، توفي سنة ١٣٩٩هـ، وكتابه «صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن الكريم» وصل فيه إلى أواخر سورة المائدة ولم يطبع منه سوى ثلاثة مجلدات حتى الآن.

تفسير الآيات الكونية بين المؤيدين والمعارضين

قبل إستعراض الآراء نرى أنه من الأنسب أن نوضح القضية فنقول :
ما سبب ذكر الكونيات في القرآن؟

يجيب على هذا التساؤل الدكتور عبد الفتاح سلامه فيقول :

١ - إقامة الحجة على الخلق بذكر آيات الله في الآفاق والأرض والأنفس لتكون أدلة ملموسة وبراهين محسوسة على وحدانية الله سبحانه وعلى وجوب أفراد العبادة وإخلاصها له جل جلاله.

٢ - تحريك الآذان أن تتوثب لإلتماس المزيد من آيات الله للبحث في أسرار الكون وطبائع المادة^(١).
إذا كان هذا من أسباب ذكر الكونيات في القرآن فما المقصود بالتفسير الكوني؟.

عرف لون من التفسير عند العلماء بإسم التفسير العلمي للقرآن الكريم أو تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم وهذا اللون من ألوان التفسير كان عرضة للأخذ والرد ... بين مؤيدين ومعارضين ..
وقبل أن نستعرض نماذج المؤيدين والمعارضين لهذا اللون نقدم تعاريف العلماء لهذا اللون فنقول :

إن الذين إتجهوا إلى تعريفه كادوا أن يتفقوا على معنى واحد لتعريفه، وبإستعراض بعض التعاريف نجد أن العلامة الدكتور عبد العظيم الغباشي - رحمه الله - يعرفه قائلا :

(هو التفسير الذي تخضع فيه ألفاظ القرآن للاصطلاحات العلمية ويستخرج منها سائر العلوم والآراء الفلسفية)^(٢).

(١) النص القرآني بين التفسير والتأويل للدكتور عبد الفتاح إبراهيم سلامة ص ٣٩٥.

(٢) مذكرة في علوم القرآن للدكتور عبد العظيم الغباشي ص ١١٦.

وعرفه الشيخ أمين الخولي — رحمه الله — بقوله :
(هو التفسير الذي يحمل الإصطلاحات العلمية في عبارات القرآن
ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها^(١)).

وعرفه الدكتور محمد حسين الذهبي — رحمه الله — بقوله :—
(معنى التفسير العلمي : التفسير الذي يحمل الإصطلاحات العلمية في
عبارات القرآن ويجتهد في إستخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية
منها)^(٢).

وعرفه الدكتور حموده محمد داود سند بقوله :
(أرى أن من أنسب التعاريف لهذا النوع من التفسير أن يقال: هو إستعانة
المفسر بالحقائق العلمية التي هدى الله إليها البشر في ترجيح أحد
محتملات النص أو السياق الكريم وبيان جهة الإعجاز فيه)^(٣).

وعرفه الدكتور عبد الفتاح إبراهيم سلامه بقوله :
نعنى بالتفسير العلمي أن يقوم المفسر بشرح بعض التفصيلات العلمية بشيء
ذكره القرآن وذكر آيات الله فيه وفهم الذين إستمعوا القرآن من رسول الله
ﷺ نعمة الله فيما ذكر على سبيل الإجمال ونفصل هذا الإجمال بمثال
شارح ... قال الله تبارك وتعالى ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في
بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ (آيه ٦٦ من سورة النحل)
فالله سبحانه وتعالى: يمن على عباده بهذا اللبن السائغ وكل من سمع هذه
الآية وقت نزولها من مؤمن أو كافر لايشك في فائدة هذا اللبن ثم جاء
عصرنا بأجهزته ومعامله ومختبراته فتمكن من أن يعرف مقدار الدهن الذي
في اللبن وماذا فيه من سكريات وماذا فيه من فيتامينات ومماثل ذلك
بالكميات المحدودة والمقادير المفصلة.

(١) مناهج تجديد للشيخ أمين الخولي ص ٢٨٧.

(٢) التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٤٧٢.

(٣) تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة ص ١٥٤.

فهل يكون ذكر هذه المعارف حول هذه الآية الكريمة إلا إظهاراً لأسرار آيات الله في الخلق، وبياناً لمزيد فضله على عباده، ورداً على بعض المولعين بتقدم العلوم في عصرهم فهذا مانعونه بالتفسير العلمي، والفرق بين بيان الإعجاز العلمي في الآية وبين تفسيرها تفسيراً علمياً، أن الأول : هو كشف المغطي والثاني : هو تفسير المجهول^(١).

بعد أن ذكرنا تلك التعريفات لهذا النوع من ألوان التفسير يتضح لنا أن التعريفين الأخيرين أقرب وأوضح للمراد من هذا اللون. وكفاهما دلالة أنهما يجعلان حدوث أي خطأ بعيداً عن أن ينسب إلى القرآن، لأن لفظه وأسلوبه يحتملان الكثير، ومن ثم فإذا حدث خطأ فإنه لا ينسب إلا إلى المؤول الذي رجح أحد الاحتمالات على غيرها وذلك لأنه لم يتزود بالزاد الذي يبلغه المراد.

وعليه فلا خوف على القرآن الكريم من ذلك، وهذا الذي جعلنا نؤيد هذين التعريفين.

وإلى الذين أنكروا هذا اللون من التفسير يجول في ذهننا دائماً سؤال — لا أدري ألهم إجابة عليه أم سيجاب عليه من استطلاع الآراء، وإذا كان لنا أن نسأل فنقول:

ماموقف المنكرين لهذا اللون من التفسير للآيات الكونية في القرآن الكريم هل ليس لها وجود؟ أم أنها معطلة عن أن تدرك؟.

بعد هذا التساؤل الذي أردنا طرحه نستطيع أن نقول: لقد ذكر القرآن الكريم العديد من الآيات الكونية ولذا نجد العلامة الشيخ طنطاوى جوهرى يتسائل قائلاً:

فلماذا كثر التأليف في علم الفقه وقل جداً في علوم الكائنات التي لم تخل منها سورة بل هي تبلغ ٧٥٠ أية صريحة .. وهناك آيات أخرى دلالتها

(١) النص القرآني بين التفسير والتأويل ص ٤٦٥ هـ ص ٤٦٥.

تقرب من الصراحة. فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم آيات قليلة ويجهلون علما آياته كثيرة جداً (ويقصد بالآيات القليلة آيات الفقه — إذ يقول : وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات قلائل لاتصل مائتين وخمسين آية، ويقول: إن آباءنا برعوا في الفقه فلنبرع نحن الآن في علوم الكائنات^(١)).

ولعل الشيخ — رحمه الله — يريد أن تكون هذه الآيات لتحرك العقول ولتستلفت الأنظار إلى آيات الله في الكون كله وإذا كان لنا أن ندلل على ذلك فإننا نقول مطمئنين ان مزج العلوم الكونية بتأويل القرآن الكريم قديمة قدم التاريخ الإسلامي غير أن البعض من السابقين قد مسوا ذلك بحذر وبقدر ما عندهم من العلوم أو المعارف آنذاك، وخيل إليهم أنه لذلك فقط، ولذلك أنكروه.

ولعلنا نعلم أن لكل عصر مقاييسه ومعارفه الخاصة به ولا يصح بأي حال من الأحوال أنحكم مقاييس عصر على عصر آخر، ولنكون موضوعيين فلا بد علينا أن نقرر أن الخطأ في بعض التأويلات لهذا اللون واقع ملموس ولكنه لا ينبغي أن يحملنا الخطأ عند البعض على إنكار الكل وفوق هذا نقول: أن هذا الخطأ علامة بارزة من علامات أعجاز القرآن لتحقيق قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(٢).

وعلى ذلك نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور عبد العظيم الغباشي إذ يقول: (أنه يتحتم على المفسر أن يساير أفكار الناس الذين يفسر لهم فيشرح الألفاظ القرآنية في الظواهر الطبيعية والعلمية وسنن الله الكونية وما يشبه ذلك بالطريقة العلمية المألوفة لهم، وما يلائم أذواقهم ومشاربهم وإلا فقد خاطبهم بما لا يفهمون)^(٣).

(١) الجواهر للشيخ طنطاوى جوهرى جـ ٢٥ ص ٥٥، ٥٦.

(٢) سورة الاسراء آية ٨٥.

(٣) علوم القرآن للدكتور عبد العظيم الغباشي ص ٥٧.

ولعلنا نذهب إلى أن هذا اللون هو لون من ألوان الإعجاز للقرآن الكريم، فإن كانت الدراسات الإسلامية هي تلك العلوم والمباحث المتصلة بالقرآن الكريم، وذلك مثل الحديث والتفسير والقراءات وأصول الفقه واللغة والتاريخ؟ تلك هي التي إضطر المسلمون إليها في حرصهم على فهم كتاب الله تعالى والوقوف على أسرار إعجازه في ملكه قلوب البشر.

ومن ثم فإنه من الطبيعي أن تكون المباحث المتعلقة بالإعجاز البياني للقرآن الكريم هي أول ما ظهر عند المسلمين، ولا تعجب إذا استمرت تلك المباحث تمثل حجر الزاوية في دراسات المسلمين لإعجاز القرآن على مر العصور مع اختلاف معارفهم في التعبير عنه فإن ذلك كان أبرز صفات العرب من حيث بيانهم وبلوغهم الغاية، وعلى هذا كان التحدى في أول أمره بالنسبة لهم.

بعد هذا الإيضاح نستطيع أن ندرك أن هذا الذي ذكرناه لا يمنع من مراعاة وجوه الإعجاز الأخرى، لأن الإعجاز في الحقيقة صفة للقرآن وليس صفة لقوم دون آخرين.

ومن ثم فهو باق بقاء الدهر يحمل صفة صدقة وعلمه وتحديه إلى كل الناس على اختلاف ثقافتهم وعصورهم.

ولذا ظهر ما يسمى في عصرنا الحاضر «بالإعجاز العلمي» ولم يقف الأمر عند هذا الحد، لكن الكثيرين لا يجعلونه ضريا من الإخبار بالغيب معلنين أنه كيف يكون ضريا من الغيب وهو لم يظهر إلا في القرون الأخيرة؟ ولكننا نجد الأستاذ حموده محمد داود سند قد ذكر هذا الرأي وفنده إذ يقول: (لكنه عند كثير ليس إلا ضريا من الأخبار بالغيب لأنه — كما يقولون — أخبر عن أشياء لم تظهر إلا في القرون الأخيرة وهو عندي لا يخرج عن الإعجاز البياني لأن المكتشفات العلمية ماهي إلا سنن كونية خلق الله الكون عليها فهي موجوده من قبل نزول القرآن وإن لم يعرفها الناس أيام نزوله، فإذا تحدث القرآن عنها بما يفهمه العالمون ولا يصدم معتقد غير العالمين

وأفهامهم، فذلك ضرب من البيان يعجز عن مثله الثقلان وفي اعتقادي أن ذلك هو مناط التحدى في هذا النوع^(١).

ونترك الأستاذ حموده محمد داود سند في هذا العرض الطيب لنتلقى بالأستاذ عبد الفتاح ابراهيم سلامه في نجمه الثالث تحت عنوان «التأويلات العلمية من أبنائها وأمثالها» إذ يعقد لذلك حديثاً ممتعا يعلوه الفهم وتشدوا أركانه على العلم والمعروفة والتمحيص واني لمورد بعض المقتطفات من الموضوع لئلا يصبح اسهابا في غير موضعة فلقد قال تحت عنوان موقف أعداء الله من العلائق بين الإسلام والعلم اذ يقول :

(العلاقة بين القرآن والعلم قضية متجددة بدوام محاولات الفكر البشري في فهم القرآن وتدبر أسرارهِ، والوقوف على بواطن اعجازه وتتبع لمرامي غايته، والباحثون في هذه القضية لهم عدة طوائف :

فطائفة تجحد القرآن وتناصبه العداء وهي بالتالي تريد في خبث خبيث أن تتسلم موجة المد العلمي في عصر فنن الناس فيه بمعجزات العلم وفتوحاته أيما فتون لإظهار العلاقة بين القرآن والعلم بأنها علاقة تناقض دائم وتنافر موصول وتريد افساد عقائد المسلمين وصرفهم عن دينهم بإسم العلم، وهم دائما يعزفون نغمة واحدة وهي التشكيك في آيات القرآن بإسم العلم وصرف الناس عن أحكامه بإسم (العلمانية).

ويرددون بأن عصر المحراب قد انتهى واستقبل الناس عهد المخترعات وغرف التشريح، وهذه الطائفة وإن اختلفت نزعاتها إلا أنها تتحد على غاية واحدة وهي محاربة القرآن بإسم العلم، ثم يأتي بفوائد تدل على مايقول، ثم يبين موقف التبشير والإستشراق من هذه القضية فيقول:

(إن الأحقاد التي حملتها الصليبية قديما وحديثا تجاه الإسلام جعلتها دائما وأبدا تحاول النيل من الإسلام وتسلك كل سبيل للقضاء عليه، ولقد سلك الأستعمار الصليبي سبيل الحرب والمؤامرة كما سلك عملاؤه

(١) تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة للأستاذ حمودة محمد داود ص ١٥٦.

وأذنايه سبيل بث الدسائس وزرع الفتن بين المسلمين أما أبواقه ودعائه فقد شنوا — ولايزالون — حرباً فكرية تستهدف صرف المسلمين عن دينهم) ثم يقول :

(واستهدفت الحملة الفكرية على الإسلام إلى زعزعة عقائد المسلمين في الإسلام بشتى السبل ومنها إدعاء مناقضة القرآن للعلم) ثم يقول:

(بعد هذه التوطئة بين يدي. الموضوع: نريد أن نزيد ظنوننا عن بعض الأذهان وهاك تفصيلها :

١ — أن العلاقة بين القرآن. والعلم ليست ثغرة ينفذ منها المتسللون بل هي عند جلاء الحقيقة حصن يستعصى على كل المبطلين والمرجفين.

٢ — أننا لانريد كرد فعل للهجوم الظالم على الإسلام أن نصطنع علاقة موهومة بين القرآن والعلم.

٣ — أننا نرفض بكل ما في طاقتنا من رفض كل ابتداع في دين الله كما نكره شطط التأويلات كراهتنا لأن نقذف في النار.

٤ — أننا نكره الجمود الضير الذي لا يفهم الإسلام فهما كلياً ولا يسترشد بروح القرآن مع دلالات الفاظه.
ثم يقول :

إذا كان هذا هو موقف أعداء القرآن فما هو موقف أوليائه؟
فيقول: المؤمنون بالقرآن ازاء هذه القضية فريقان:

١ — فريق يرى أن ربط تفسير بعض آي القرآن الكريم بالنظريات العلمية الحديثة خطر يهدد قداسة القرآن، وأنه ضرب من شطط الفهم وتعسف التأويلات.

٢ — والفريق الآخر يعقد أوثق العلائق بين بعض آيات القرآن وبين الحقائق العلمية والنظريات العلمية، ويرى أن هذا النوع من التفسير يكشف

عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وهو الإعجاز العلمي، والقرآن لا تنقضي عجائبه.

وهذا الفريق في تفسيراته العلمية منه قاصد إلى الخير مقتصد ومنه فاسد الرأي مستبعد.

ثم يقول :

والموضوع ليس كما تبادر إلى كثير من الأذهان من المحدثات التي دخلت أفكار المسلمين، بل هو مطروح للبحث والنظر منذ أن حاول المسلمون فهم القرآن الكريم وتدبر أسرارها، فصاحب العلم التفسير في نشأته مواكب له في خطواته..

ثم يعلن هذا عن أصول القضية :

(الكون بسمواته وأرضه : كتاب الله المشاهد، والشمس والقمر والنجوم والبحار والثمار والأشجار والدواب والأطيوار كلها وغيرها صفحات في هذا الكون المشهود. والإنسان الذي كرمه الله وسخر له كثيراً من خلقه وجد نفسه حين خلق آدم هذا الكتاب الكوني فأخذ يقرأ صفحاته متدبراً ومتعجلاً فوعى بعضها وعجز عن البعض وفهم دقائق صفحات وبدت الأخرى أمامه من المعميات .. فطفق يعيد قراءة الصفحات التي لم تفض إليه بسرائرها .. وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، يحاول الإنسان أن يعي كل شيء وما هو بواع، وأن يبلغ علمه كل ماوقع عليه نظره، وما هو ببالغ من ذلك إلا مايسره الله له وأقدره عليه ..

والقرآن الكريم كتاب الله المتلو حدث الناس عن آيات رب العالمين في هذا الكون، واستدعى أنظارهم وأفكارهم فيسر الله لهم أن يفهموا من أسرار هذا الكتاب بقدر اخلاصهم وصدق عزائمهم وصفاء اذهانهم ورقة أحاسيسهم.

فالصلة بين الكتاب المشهود في صحائف الكون والكتاب المنزل
المستودع في الصدور والسطور صلة وثيقة موثقة^(١).

بعد هذا الإيضاح بين يدي هذا اللون من ألوان التفسير يبقى معنا
أن نقول:

هل القرآن يدل على تلك العلوم التي ظهرت وتظهر في مختلف
العصور كالطب والهيئة والطبيعة والهندسة والكيمياء والاجتماع وما
إلى ذلك؟ أو لا يدل على ذلك؟

وما الذي يعنى القائلون بالاثبات والقائلون بالنفى من إثباتهم أو
نفیهم؟

وتبعاً لذلك فإننا بحول الله وقوته سوف نقسم الأقوال في ذلك إلى
قسمين موضحين كل قسم بنموذج واحد لأول الأعلام الذين يرجع
إليهم الخوض في هذا المجال .. وسنبداً بالمؤيدين.

ثم بالمعارضين ..

ثم بما ينعم الله سبحانه وتعالى علينا

لايضاح ما قالوا

(١) النص القرآني بين التفسير والتأويل للأستاذ عبد الفتاح إبراهيم ص ٣٧٨ : ٣٨٥.

النموذج الأول

التفسير العلمي في أقوال المؤيدين

إذا ذهبنا نجوب آراء المؤيدين فإننا نجد أن أول المتكلمين في هذا في عصره وفي كل العصور هو الامام الغزالي — ومن ثم فلقد ظن البعض بكلامه الظنون ثم مالبثوا إلا أن اقتدوا به فيما ظنوا، وإذا نظرنا إليه فنجد ذلك واضحا في كتابه «جواهر القرآن» باعتباره الأكثر تفصيلا والآخر تأليفا وذلك إذ يقول بعد أن بين تشعب علوم اللغة والفقه والأصول من القرآن :

(ولعلك تقول إن العلوم وراء هذه كثيرة كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشرح أعضائه وعلم السحر والطلسمات وغير ذلك، فأعلم أنه إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لا بد من وجود أصلها في العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله تعالى والسفر إليه، أما هذه العلوم التي أشرت إليها فهي علوم ولكنها لا يتوقف على معرفتها صلاح المعاش والميعاد فلذلك لم نذكرها، ووراء ما عددته علوم أخرى يعلم تراجمها ولا يخلو العالم عن معرفتها ولا حاجة إلى ذكرها بل أقول ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا يتمارى فيها أن في الامكان من القوة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج من الوجود وان كان في قوة الآدمي الوصول إليها وعلوم كانت قد خرجت إلى الوجود واندرست الآن فلم يوجد في هذه الأعصار على بسيط الأرض من يعرفها، وعلوم أخر ليس في قوة البشر أصلا إدراكها والاحاطة بها ويختص بها بعض الملائكة المقربين فإن الامكان في حق الآدمي محدود والامكان في حق الملك محدود إلى غاية في الكمال بالاضافة، كما أنه في حق البهيمة محدود إلى غاية في النقصان، وانما الله سبحانه وتعالى هو الذي لا يتناهى العلم في حقه ويفارق علمنا علم الله الحق في شيئين :

أحدهما: إنتفاء النهاية عنه، بل هو بالوجود والخصوص فكل ممكن في حقه من الكمال فهو حاضر موجود، ثم هذه العلوم ماعددناه ومالم نعددها ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإن جميعها مقترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحر لاساحل له، وأن البحر لو مداداً لكلماته لنفذ البحر قبل أن تنفذ فمن أفعال الله وهو بحر الأفعال — مثلاً:

علم الطب :

الشفاء والمرض، كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(١) وهذا الفعل الواحد لايعرفه إلا من عرف الطب بكماله، اذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض : كماله وعلاماته ومعرفة الشفاء وأسبابه.

علم الفلك :

ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان وقد قال الله تعالى ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾^(٢) وقال: ﴿وقدرناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾^(٣) وقال: ﴿وخسف القمر وجمع الشمس والقمر﴾^(٤) وقال: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾^(٥) وقال: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾^(٦).

ولايعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولج الليل في النهار وكيفية تكرور أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئات وتركيب السموات والأرض وهو علم برأسه.

- (١) سورة الشعراء آية ٨٠.
- (٢) سورة الرحمن آية ٥.
- (٣) سورة يونس آية ٥.
- (٤) سورة القيامة آية ٨ — ٩.
- (٥) سورة الحديد آية ٦.
- (٦) سورة يس آية ٣٨.

علم التشريح :

ولا يعرف كمال معنى قوله ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(١) إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها. وقد أشار في القرآن في مواضع إليها وهي من علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين.

كيفية الخلق :

وكذلك لا يعرف كمال معنى قوله ﴿فَإِذَا سُوِّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٢) ما لم يعلم التسوية والنفخ والروح ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق، وربما لا يفهمونها إن سمعوها من العالم بها.

ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ولا تمكن الإشارة إلا إلى مجامعها، وقد أشرنا إليه حيث ذكرنا أن من جملة معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة أفعاله فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل ...

وكذلك كل قسم أجملناه لو شعب لشعب إلى تفاصيل كثيرة، فتفكر فيه والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله، وانما التفكير فيه للتوصل من جملة إلى تفصيله وهو البحر الذي لا شاطئ له^(٣).

ذلك هو كلام الإمام الغزالي نقلته بتمامه لكي أعطى صورة صحيحة لما يهدف إليه ولعل أول ملاحظته من مطالعته لنصه أنه ينعت العلوم الكونية بأنها علوم لا يتوقف على معرفتها صلاح المعاش والميعاد، ولكننا إن تتبعنا النص يتضح لنا خلاف ذلك في قوله (ثم هذه العلوم ماعدناها ومالم

(١) سورة الانفطار آية ٦ — ٨.

(٢) سورة ص الآية ٧٢.

(٣) جواهر القرآن لحجة الاسلام الامام الغزالي ص ٢٥ — ٢٨.

نعددها ليست أوائلها خارجة عن القرآن ويقول أيضاً في النهاية فتفكر في القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله، وانما التفكير فيه للتوصل من جملة إلى تفصيله.

وكأنني بالإمام يريد من ذلك أن يصل الإنسان من تفكيره في تلك العلوم من القرآن إلى طلب تفصيلها حتى يتحقق له كمال معنى الآية، وكيف أن تلك الأفعال لا تنسب إلا إلى الله سبحانه وتعالى، والإمام بهذا يتقد قوله الأولى (لا يتوقف على معرفتها صلاح المعاش والميعاد).

أعتقد بعد هذا العرض اذا أردنا حينئذ أن نقول كلمة فما علينا إلا أن نقول: أن الامام يريد لنا أن نفهم القرآن فهما علميا وأن نستعين على ذلك بالعلم في مختلف فروعه على فهم آياته حتى يكون فهمنا لها صحيحا ليزداد ايماننا.

النموذج الثاني

التفسير العلمي للقرآن في أقوال المعارضين

مبلغ علمي أن أول المتحدثين في هذا هو الإمام أبو اسحاق الشاطبي فلقد تحدث في كتابه «الموافقات في أصول الأحكام في الجزء الثاني» ولقد جمع في قوله بين المنقول والمعقول، وسنسوق من أقواله ما يوضح فكرته بتمامها وإن كان لنا قول فسيكون بعون الله بعد عرض وجهة نظره عن كل جزئية.

إذا يقول في كتابه «الموافقات في أصول الشريعة» :
«هذه الشريعة المباركة أمة، لأن أهلها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح ويدل على ذلك أمور :

أحدها: النصوص المتواترة اللفظ والمعنى كقوله تعالى ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم﴾^(١) وقوله ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته﴾^(٢) وفي الحديث «بعثت إلى أمة أمة»^(٣) لأنهم لم يكن لهم علم بعلوم الأقدمين، والأمي منسوب إلى الأم وهو الباقي على أصل ولادة الأم لم يتعلم كتابا ولا غيره ..

فهو أصل خلخته التي ولد عليها، وفي الحديث «نحن أمة أمة لانحسب ولانكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا»^(٤).

(١) سورة الجمعة آية ٢.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب القراءات باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ١٩٤/٥، ١٩٥.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الصوم قول النبي ﷺ لانكتب ولانحسب ٣٥/٣.

وقد فسر معنى الأمية في الحديث أي ليس لنا علم بالحساب والكتاب ونحو قوله تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك﴾^(١) وما أشبه هذا من الأدلة الماثلة في الكتاب والسنة الدالة على أن الشريعة موضوعة على وصف الأمية لأن أهلها كذلك.

والثاني: أن الشريعة التي بعث بها النبي الأمي ﷺ إلى العرب خصوصا وإلى من سواهم عموماً إما أن تكون على نسبة ما هم عليه من وصف الأمية أولاً فإن كان كذلك فهو معنى كونها أمية أى منسوبة إلى الأميين، وإن لم تكن كذلك لزم أن تكون على غير ما عهدوا فلم تكن لتنزل على أنفسهم منزلة ماتعهد وذلك خلاف ماوضع عليه الأمر فيها، فلا بد أن تكون على مايعهدون، والعرب لم تعهد إلا ماوصفها الله به من الأمية، فالشريعة إذن أمية.

والثالث: أنه لو لم يكن على مايعهدون لم يكن عندهم معجزا ولا كانوا يخرجون عن مقتضى التعجيز بقولهم، هذا على غير ماعهدنا إذ ليس لنا عهد بمثل هذا الكلام من حيث أن كلامنا معروف مفهوم عندنا، وهذا ليس بمفهوم ولا معروف فلم تقم الحجة عليهم به^(٢).

وإذا كان لنا أن نقف مع الإمام فإننا نعتز للشيخ بجلال القدر وعظيم الشأن وواسع العلم ومع هذا فلنا وقفة معه وندع المجال لأستاذين جليين فقد تكفلا بالرد على العلامة الشاطبي.

ونبدأ بالدكتور عبد الفتاح ابراهيم سلامة إذ يقول :

«إن قوله بأمية الشريعة لانسيغة لفظا ولانهضمة معنى، لقد طرح إمامنا بهذه المقولة مقدمتين هما: أمية الرسول وأمية الأمة ورتب عليها النتيجة وهي أمية الشريعة والمقدمتان لاتقضيان إلى هذه النتيجة .. لماذا؟

(١) سورة العنكبوت آية ٤٨.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة لأبي اسحاق الشاطبي ج ٢ ص ٦٩ — ٧١.

— أن الرسول ﷺ ليس مصدر هذه الشريعة حتى اذا كان أميا كانت الشريعة بالتالي أمية.

— وأن الأمة الإسلامية الأمية جاءت الرسالة لتتشلها من هذه الأمية بجميع أنواعها لا لتكون أمية مثلها .. وشتان بين أمية الرسول وأميه الأمة. فأمية الرسول ﷺ آية من آيات الله على صدق رسالته وهي وصف للحالة التي كان عليها قبل البعثة ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذن لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ (سورة العنكبوت الآية ٤٨ ، ٤٩).

وأما أمية العرب فالآية تشير إلى مجيء القرآن لتبديدها بنوره وعلمه الهادي ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم﴾ .. لماذا؟
ليرسخ وضع الأمية فيهم ويأتيهم بما يناسب أمياتهم؟ أم كما قالت بقية الآية ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (سورة الجمعة آية ٢).

فالآية الكريمة تبين مهمة الرسول من الأميين وهي :
١ — ازالة أمية العقل عنهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾.
٢ — يمحو عن قلوبهم أميتها ودين الجاهلية ﴿ويزكيهم﴾.
٣ — ويدد شرائع الجاهلية بتفصيل الحق ﴿ويعلمهم الكتاب﴾.
٤ — ويقيم لهم الميزان، ليستقيم حكمهم على الأمور ويسلك الرشد ويعرف السداد وتلك هي ﴿الحكمة﴾.

وإن كان هؤلاء الأميون بفعل الأميات والجهالات من قبل هذا القرآن المبين ﴿لفي ضلال مبين﴾^(١).

ويقول الأستاذ حموده محمد داود سند أيضاً في الرد على الإمام الشاطبي: «يزعم الشاطبي في هذه الجملة من القول أن الشريعة أمية لأن أهلها أميون .. وساق مؤيدا زعمه مارأيانه من النصوص وهو زعم متهافت لانهض ماساقة دليلاً عليه، بل ان فيه ماهو دليل على خلافه

(١) النص القرآني بين التفسير والتأويل ص ٣٩٨ ، ٢٩٩.

كآية الأعراف فإن تمامها ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ممالك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته وأتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (آيه ١٥٨) فأول الآيه الذي تركه يشهد بأن رسالة الرسول عامة لجميع الناس عربا كانوا أم غير عرب. فلماذا توصف الشريعة بصفة العرب دون غيرهم؟ وهناك في القرآن كثير من الآيات التي تفيد عموم الرسالة إلى الناس في كل زمان ومكان، فالحكمة بأن الشريعة نزلت على ما يعهده العرب دون غيرهم تحكم بلا دليل وحجة بلا برهان، وقد رد على الدليلين بما قاله فضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون اذ يقول :

ونحن حين نناقش هذا الدليل نعكسه على الإمام الشاطبي فنقول ان الشريعة التي بعث بها النبي ﷺ إلى الانسانية كلها في أممها وشعوبها من العلم والمعرفة الحاصلة والمتجددة إلى يوم القيامة أو لا تكون كذلك؟.

فإن كانت على نسبة ماعليه الإنسانية المبعوث إليها رسول الله محمد ﷺ من حصائل الفكر الإنساني في العلم والمعرفة وما يكون لها في مستقبل حياته من التفكير العلمي المستكشف لحقائق الكون وأسرار الطبيعة، وذلك هو معنى كونها شريعة علمية أي منسوبة إلى العلم والمعرفة على معنى أن كتابها الذي هو دستورها الأعظم فتح للعقل الإنساني مجالات البحث والتفكير ويحث على العلم والمعرفة بما لم يبلغه كتاب سواه، وإن لم تكن شريعة الإسلام على نسبة ماعليه الإنسانية وما يكون لها في مستقبل حياتها من العلم والمعرفة، لزم أن تكون هذه الشريعة على غير ماتعهد الإنسانية وماتعرف من تاريخها العلمي وأطوارها الفكرية في المعرفة، فلم تكن لتنزل من أرقى الأمم والشعوب العالمية التي تعنى بالمعرفة وحصيلة الفكر الإنساني المتجددة منزلة ماعهدوا، وذلك ماجاءت به الشريعة ووضح عليه أمرها فلا بد أن تكون على ماتعهد الإنسانية وتعرف من واقعها وتاريخها العلمي.

فالشريعة اذن علمية لاتقف أبدا دون البحث العلمي ولا تأبي أن تؤاخي العلم والمعرفة، وهي بهذا تنافي الأمية في طبيعتها وحقيقتها ..

إلى أن يقول: أن ماساقه الشاطبي من الآيات خاص بأسلوب القرآن وعباراته وألفاظه .. وأن المراد بها الإحتجاج على العرب بأن التحدى وقع بكتاب عربي مبين فلو نزل بأسلوب وعبارات غير عربية لقالوا دفعاً لحجتيه عليهم: لولا نزل بلساننا وعبارتنا فإذا عانهم لحجتيه انما كان باعتبار الأسلوب والألفاظ والعبارة لاعتبار معلمه وفنون هدايته وأفكاره وعلومه ومعارفة لأن كثيراً من هذه المعاني والأفكار لم يكن من معهود العرب ومعارفهم.^(١)

عودة إلى الشاطبي اذ يقول :
وأعلم أن العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس وكان لعقلائهم اعتناء بمكارم الأخلاق واتصاف بمحاسن الشيم ..

فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه وأبطلت ما هو باطل وبينت منافع ما ينفع من ذلك ومضار ما يضر منه فمن علومها علم النجوم وما يختص بها من الاهتداء في البر والبحر واختلاف الأزمان باختلاف سيرها ..

ومنها علم الأنواء، وأوقات نزول المطر، وانشاء السحاب، وهبوب الرياح المثيرة له بين الشارع حقها من باطلها ..

ومنها علم التاريخ، وأخبار الأمم الماضية، وفي القرآن من ذلك ما هو كثير وكذلك في السنة ولكن القرآن احتفل في ذلك وأكثره من الاخبار بالغيوب التي لم يكن للعرب بها علم، لكنها من جنس ما كانوا ينتحلون ...

ومنها ما كان أكثره باطلاً أو جميعه كعلم القيامة والزجر، والكهانة وخط الرمل والضرب بالحصى والطيرة فأبطلت الشريعة من ذلك الباطل ونهت عنه.

ومنها علم الطب فقد كان في العرب منه شيء لاعلى ما عند الأوائل بل مأخوذ من تجارب الأميين غير مبنى على علوم الطبيعة التي يقرها الأقدمون.^(٢)

(١) انظر تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة ص ١٨٠ — ١٨٣ بتصرف.

(٢) الموافقات ج ٢ ص ٧١ — ٧٤ بتصرف.

هذا هو ماأورده الامام الشاطبي .. وبمنظرة سريعة نستطيع أن نحدد أنه فوجيء بواقع الآيات الكونية في القرآن فحاول حسبما يتفق وفكرته التي حاول أن يدعمها بالأدلة أن يخرجها من حيز الإنطلاق وجعلها محصورة رغم هذا، فإن مقالته لايمنع من أن نقول: إن الآيات قد وصفت تلك الظواهر الكونية وصفا علميا دقيقاً فوق مايعهده العرب الأميون وفوق أحدث ماتوصل إليه العلم الحديث ..

وأعجب العجب أن يذكر علم العرب في الطب ولكنه طب بدائي يقوم على تجاربهم لا على علوم غيرهم، فنستطيع أن نقول: مافي إستطاعتنا أن ذلك الذي اعتبره الامام طباً بدائياً هو أننا قد قررنا سابقا أنه لايستطيع أي أحد أن يحكم على زمن بمعارف زمن آخر، بكل معارفه وامكانياته فإن كانت امكانيات الطب الحديث لم تتوفر لهم آنذاك ولكنها قد توفرت لهذا الجيل فهم قد بذلوا جهدهم بما لديهم حينئذ من معارف وامكانيات .. واذا كان الامام يعتبر ذلك اقحاما للقرآن في غير مالم تقم عليه الدلائل والبراهين اليقينية ...

فإننا بذلك مدينون له لأنه ينزه القرآن عن عبث العابثين ولكي لا يكون عرضه للقليل والقال والرجل بعلمه وحكمته وتدقيقة لايعدو أن يكون موقناً بأن يذود عن حياض القرآن الكريم كل مايلق به من آراء ان صحت اليوم بطلت غدا ...

ولعل الأستاذ حموده محمد داود سند قد أحس بذلك حين أتى في نهاية مطافه وقرر ماييلي :

«للساطبي العذر فيما ذهب إليه فقد رأى — كما قال — كثيرا من الناس تجاوزوا على الدعوة في القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف لا جميع ماظهر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها، لكن الغاية

لا تبرر الوسيلة كما يقولون فما كان ينبغي أن يحمله هذا على التصدى
للفكرة فكان الأولى أن ينقيها مما علق بها»^(١).

هذا هو نهاية المطاف، ولقد عرضنا لآراء المؤيدين والمعارضين في
عجالة سريعة ورغم مالهذه القضية ومالمؤيديها ومعارضيهها من أدلة، فإننا
نقول:

أن هذه القضية رغم إنقسام الناس فيها إلى فريقين ورغم إتهام كل فريق
للآخر فإننا نرى أن الأمر ليس كذلك، ولكن كلا من الفريقين أراد أن يثبت
عظمة القرآن وجلال قدره وقوة حجته وسطاعة برهانه ..

فالفريق الأول :

فمن ذلك ما إرتآه الفريق الأول وهو فريق المؤيدين اذ يعتبر القرآن الكريم
قد حوى كل شيء وذلك لا لشيء إلا لأنهم يجعلون القرآن الكريم منهلهم
العذب ونورهم المضيء وطريقهم المستقيم الذي لا إعوجاج فيه ..

ومن ثم فإنهم يدعون العالمين إلى أن يجعلون دستور حياتهم في كل
ماشرد وورد. من هذا المنطلق لا يستطيع قائل — أيا كان قوله — أن يلقي
غبارا على ما قالوا ...

والفريق الثاني :

يرى مثل ذلك ولكنه يختلف اختلافا جوهريا في طريقة التدليل على مايريد،
فلقد اعتبر القرآن أيضاً هو نورهم الأسمى، ومعقل أمل عقولهم، فإذا ذكر
فإنه يجب على العقل أن ينصت ويخضع ويتدبر ..

ومن ثم فلا مجال لأن يكون عرضة لأن ينزل إلى معترك الحياة ومافيهها
من أخذ ورد وتأيد ونكران وبقين وظن ...

(١) تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة ص ١٩٥.

فلكى يجعل القرآن أبعدوه عن الخوض، وخاصة وأنه لو أبيع فيه ذلك لكان عرضة للجاهل والعالم، فإن كان العالم بعلمه يحميه، فإن الجاهل بجهله يرديه ...

تلك اذن هي الحقائق التي تغلب على ظننا وفيما عرضناه يتضح لنا أن الوسيلة مختلفة والغاية واحدة، فالكل يجعل القرآن الكريم في مكانه الذي يجب أن يكون فيه رفعة وقدرًا وتقديرًا ..

جزاهم الله لما هدفوا إليه وماأجهدوا أنفسهم عليه خير الجزاء.

وبهذا نجد أن كل صاحب فن أو مذهب يفسر القرآن بما يتناسب مع فنه أو بما يؤيد مذهبه.

ومما لاشك فيه أن مثل هؤلاء عملوا على تحمل آيات القرآن الكريم مالا يحتمله — في أغلب الأحيان — لأنهم كثيراً مايسارعون إلى اقحام القرآن العظيم في الاستشهاد على مايدعون له من فن.

ولقد تكفل الحق سبحانه وتعالى بالمحافظة على هيمنة كتابه فقيض له العلماء الأجلاء — في كل عصر — الذين وقفوا في وجه من نحا بالقرآن هذه المناحي ففسروا القرآن تفسيراً نقلياً بحثاً مثل السيوطي في الدور المنشور المتوفي سنة ٩١١هـ ونهيب بالاخوة الباحثين في مجال القرآن وعلومه أن يعملوا على تحقيق هذا الكتاب حتى نقف على ماصح منه وأيضاً فيض الله في هذا العصر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المتوفي سنة ١٣٩٣هـ في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

وهكذا كما رأيت فهذه هي الاتجاهات التفسيرية وتعدد طرقها وألوانها وهي متشعبة متكاثرة كما رأيت ولكي نوضح لك ماأنت سائر فيه بمشيئة الله تعالى نقدم لك فيما يلي أنواع التفسير :

المبحث الثاني

المبحث الثاني ويشتمل على أنواع التفسير

- النوع الأول: التفسير بالمأثور.
- ١ - معناه. ٢ - نشأته. ٣ - مقدار الثقة به. ٤ - أهم الكتب المؤلفة فيه.
- النوع الثاني: التفسير بالرأى.
- ١ - معناه. ٢ - نشأته. ٣ - موقف العلماء منه.

أنواع التفسير

تفسير القرآن الكريم نوعان: مأثور ويسمى تفسير الرواية والتفسير النقلى
وتفسير الرأى ويسمى الدراية والتفسير العقلى.

النوع الأول: التفسير بالمأثور .

سنتناول بعون الله تعالى فيه نقاط أربعة :

١ — معناه ٢ — نشأته ٣ — مقدار الثقة به. ٤ — أهم الكتب
المؤلفة فيه.

أولاً : معناه :

يشتمل على ما جاء في تفسير القرآن الكريم نفسه من البيان
والتفصيل لبعض آياته.

وما نقل عن النبي ﷺ.

وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى
من نصوص كتابه الكريم.

ثانياً : نشأته :

من المعلوم أن نشأة هذا التفسير تعلم من أسمه من خلال
الرواية عن رسول الله ﷺ. وهو ما أشرنا إليه من التلقى والتلقين
فقد روى الصحابة ما سمعوه منه ﷺ وزادوا عليه ما علموه من
خلال ما توافر لهم من شروطه التي حدودها ولقد صار على
منوالهم التابعون الذين تتلمذوا عليهم دون ما أعمال لاجتهاد في
آية من الآيات أو كلمة من الكلمات.

ثالثاً : مقدار الثقة به :

انه مما لاشك فيه أن ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله
لا يليق بأحد كائننا من كان أن يقول برده أو اهماله أو اغفاله لأنه
الركيزة القوية للدلالة على الاهتداء بالقرآن العظيم.

أما ما لم يصح فهو ما يجب رده ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به بل وينفر منه وينبه إلى ضلاله وخطأه حتى لا يعتد به أحد وأنظر إلى رأى شيخ الاسلام في ذلك فلقد جمع فأوعى لعل الله أن ينفعك بما قال^(١).

رابعاً : بعض النماذج من الكتب المؤلفة في هذا النوع :
جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي المتوفي سنة ٥٤٦ هـ.

تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء الحافظ بن كثير المتوفي سنة ٧٧٤ هـ.

الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ.

اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن لمحمد أمين الشنقيطي المتوفي سنة ١٣٩٣ هـ.

النوع الثاني^(٢) :

التفسير بالرأى. سنتناول بعون الله تعالى :

معناه — نشأته — موقف العلماء منه —

أولاً : معناه : للناس فيه وجهان.

الأول أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون

نظر فيما قال العلماء أو إقتضته قوانين العلوم التي يحتاج إليها

المفسر. وهذا مذموم.

الثاني : يقول الدكتور الذهبي في معنى التفسير بالرأى «يطلق الرأى على

الإعتقاد وعلى الإجتهد وعلى القياس ومنه أصحاب الرأى أي

أصحاب القياس. والمراد بالرأى هنا الإجتهد وعليه فالتفسير

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٣/٣٤٤.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك بمشيئة الله تعالى في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

بالرأى عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهد بعد معرفة المفسر
لكلام العرب ومناهجهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه
دلالاتها وإستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على
أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن
وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

نشأته:

ثانياً :

قد علمت مما تقدم أن التفسير بالمأثور هو أول مانشأ من أنواع
التفسير. أما التفسير بالرأى فمن المعلوم كما عرضنا لك من
قبل أن مثل هذا النوع كان غير معلوم حتى في بعض الألفاظ
وقد مر بك بعض النماذج في ذلك وأنظر إلى مجموع فتاوى
شيخ الإسلام لعلك تجد الرأى الصائب في مثل هذا المجال.

وعلى ما ذكرناه أولاً فقد تأخر هذا النوع عن النوع الأول بعض
الوقت وعلى الثاني فإننا نعتبره ملازماً لما أحدثه ابن جرير في
ترجيحه لبعض الآراء.

لكن الذي تطمئن إليه النفس أن الظهور بمعناه الحقيقي لم يكن
إلا حين ظهور الفرق الإسلامية. وخاصة من له مذهب خاص
فيما يتصل بالعقائد فكان ذلك يدفعهم إلى تلوين التفسير باللون
المذهبي رداً على خصومهم كما إنبرى لهم خصومهم ففسروا
القرآن بما يتفق مع عقائدهم. مع العمل على إبطال آراء الأولين
ونمى هذا من العصر العباسي ولقد أوضحت لك ذلك من قبل.

موقف العلماء من التفسير بالرأى :

ثالثاً :

الناس في جوار تفسير القرآن فريقان :

الفريق الأول لم يجزوا على تفسير شيء من القرآن ولم يبيحوا
لغيرهم وقالوا لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان

عالمًا أديباً متسعا في معرفة الأدلة. في الفقه والنحو الأحكام
وانما له أن ينتهي إلى ما روى عن النبي ﷺ وعن الذين شاهدوا
التنزيل من الصحابة رضي الله عنهم أو عن الذين أخذوا عنهم من
التابعين^(١).

الفريق الثاني :

قد توسعوا فلم يروا بأسا من أن يفسروا القرآن بالاجتهاد والاجتهاد هنا
معناه الرأى فلقد قال الشيخ الزرقاني أن التفسير بالرأى منه ما هو محمود
وهو من توافر فيه شروط أربعة هي :

- (أ) النقل عن رسول الله ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.
 - (ب) الأخذ بقول الصحابي فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقا وخصه
بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لامجال للرأى فيه.
 - (ج) الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه
الكثير من كلام العرب.
 - (د) الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع.
- وما كان غير ذلك فهو مذموم^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه «فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام ...
وبعد أن يورد ادلة قوية ... يقول وهكذا روى بعض أهل العلم من أصحاب
النبي وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم^(٣).

(١) أنظر مقدمة التفسير للراغب الأصبهاني ص ٤٢٢.

(٢) أنظر مناهل العرفان ١ / ٥١٧ ، ٥١٨.

(٣) أنظر مقال ١٣ / ٣٧٠ مجموع الفتاوى مقدمة التفسير.

المبحث الثالث

المبحث الثالث مناهج أصحاب التفسير بالمأثور ويشتمل على :

- مدى الحرص التام على تنقية مايعول عليه من جهة السند والمتن معاً.
- نماذج من الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور.
- أولاً: التفسير بالأثر المجرد «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي.
ومنهج مؤلفه فيه :
- نماذج من هذا التفسير ودراستها في ضوء الكتب الصحاح.
- ثانياً: التفسير بالمأثور مختلطاً بالرأى.
- (أ) ابن جرير الطبري ومنهجه في تفسيره.
- (ب) ابن الجوزي ومنهجه في تفسيره.
- (ج) ابن كثير ومنهجه في تفسيره.
- (د) الشنقيطي ومنهجه في تفسيره.
- (هـ) يحيى بن سلام ومنهجه في تفسيره.
- (و) الخاتمة.

مناهج أصحاب التفسير بالآثر

قبل أن نخوض في مناهج أصحاب التفسير بالمأثور فيما انتهجوه في تدوينهم لإيضاح معنى آيات القرآن الكريم، علينا أن نقدم توطئة بين يدي الموضوع نبين فيها كيفية وصول المأثور إلينا.

فنقول: إن التمييز بين مراحل التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى يجعل الباحث في حيرة من أمره، وخاصة في الوقوف على التدوين لكلا المنهجين خاصة وأن معظم الكتب في هذا الشأن قد اندثرت ولم يبق منها إلا النذر اليسير الذي لايعين على حقيقة هذا الأمر.

بيد أننا نعلن مطمئنين أن سمة التفسير بالمأثور، كانت هي الغالبة في العهد الأول، ويغلب على علمنا أنها لم تتوقف في أي عهد من العهود بل كان يعول عليها دائماً سواء كان ذلك بالتلقى والتلقين الذي أعتمد عليه أولاً، وأيضاً فيما دون من فمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه على يد عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيفته الصادقة فيما ذكرناه لك سابقاً.

وأيضاً فلقد حرص كل من سمع أمراً يتعلق بالقرآن بيانا أو شرحاً، أو أحكاماً أو أمراً أو نهياً، أو هدياً، أسرع إلى تدوينه، وظل ذلك شغل القوم الشاغل إلى أن أتى عهد التدوين الكلي فكان هذا هو الأساس الذي بنى عليه كل ما هو آت.

وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها التفسير العملي، ونزيدك أيضاً ما فنقول: لقد كان الطابع الغالب على هذه المرحلة في التفسير هو: التوضيح القريب من الرسول (ﷺ) — بمعنى أنه (ﷺ) يوضح المعنى من أقرب طريق لدى السامع — مستهدفاً بيان ما يخاطب به العام والخاص، مع حرصه التام (ﷺ) على الإبانة التي تقتضيها طبائع الناس المختلفة، وتفاوت مراتبهم في الفهم الفطري. ولم يقف الأمر عند هذا البيان بل قد سار إلى جانب ذلك، توضيح الأصول الصحيحة، والحقائق الدقيقة التي حفل بها

تفسيره (ﷺ) حتى خلد مع الزمن، وتوضيح الأحكام العملية، والأخلاق الفاضلة فوصل بمن صدقة إلى مستوى من الرقي لم يبلغه من سبق، ولن يصل إليه من يأتي، بما سنه من قمم عقائدية وأخلاقية واجتماعية سامية.

وهذه المزوجة المثلى في تفسير الرسول (ﷺ) هي جوهر الإعجاز في بيانه وفي رسالته (ﷺ).

وعليه فإن طريقة التفسير النبوي للقرآن الكريم لهى الطريقة المثلى، لكل من أراد أن ينحو منحى تفسير منهجى بيانا للقرآن عامة وخاصة، مجملة ومبينة، مطلقة ومقيدة.

وأعتقد أنه لا يوجد من يخالجه أدنى شك في أن الصحابة، ومن تتلمذ على أيديهم من التابعين كانوا يتبعون هذا المنهج بالنقل عنه، والسير على ضيائه ومنهجه.

بيد أننا نستطيع بعون الله وقوته أن نفرق بين جيلين من المفسرين بالمأثور يمثلان اتجاهين مختلفين فيمن سبق :

الجيل الأول : يتمثل في الخلفاء الأربعة وبعض الصحابة رضى الله عنهم الذين شغلوا بهذا النوع.

الجيل الثاني : ويتمثل في ابن عباس رضى الله عنه، ومن تتلمذ على يديه من التابعين كمجاهد وغيره.

والفرق بين الجيلين: أن الأول كان يلتزم بما ورد فيه شئ عن رسول الله (ﷺ) مع بيان سبب النزول، فهم الشهود والمعاصرون للتزليل أو الراوون عن رسول الله (ﷺ).

ولقد كان لفظ القرآن الكريم مهابا من قبلهم لقد سيته، مخافة أن يقولوا فيه مالا يعلمون.

وأما الثاني: فلقد التزم أيضاً بالمنقول عن رسول الله (ﷺ) والصحابة ولكنه اجتهد فيما يغيب عنه، وقد يستعين بالشعر اذا احتاج المقام لذلك

يقول ابن عباس : (الشعر ديوان العرب، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديواننا فالتمسنا معرفة ذلك منه^(١)).

ولعلك ترى معي أن الحلقة ظلت مترابطة لا انفكاك بينها بالنسبة لتفسيره (عليه السلام) سواء كان ذلك بطريق التلقى والتلقين أو التدوين الكتابي.

بيد أننا لا نغالي فنقول: أنه بين أيدينا تفسيراً كاملاً لجميع معاني القرآن الكريم وألفاظه لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولا نتقاعس : فنقل من شأن مابلغنا عنه (عليه السلام).

ومن المعلوم لدى أئمة هذا الشأن — بعدما عرضناه لك سابقاً — أن هناك تفاسير رويت مسندة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإلى الصحابة والتابعين أغلبها ليس فيه شيء أكثر من التفسير بالمأثور.

سواء كان ذلك على يد عبدالله بن عمرو بن العاص، أو ماكان على يد كل من:

— سعيد بن جبير	المتوفى سنة ٩٥ هـ فيما كتبه لعبد
— مقاتل بن سليمان	الملك بن مروان المتوفى سنة ٨٦ هـ.
— شعبة بن الحجاج	المتوفى سنة ١٥٠ هـ.
— سفيان بن سعيد الثوري	المتوفى سنة ١٦٠ هـ.
— وكيع بن الجراح	المتوفى سنة ١٦١ هـ.
— سفيان بن عيينه	المتوفى سنة ١٩٧ هـ.
— يحيى بن سلام	المتوفى سنة ١٩٨ هـ.
— يزيد بن هارون	المتوفى سنة ٢٠٠ هـ.
— روح بن عبادة القيسي	المتوفى سنة ٢٠٦ هـ.
— عبد الرزاق بن همام الصنعاني	المتوفى سنة ٢٠٧ هـ.
— آدم بن اياس العسقلاني	المتوفى سنة ٢١١ هـ.
	المتوفى سنة ٢٢٠ هـ.

(١) الاتقان ١/١٣١.

- اسحاق بن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨ هـ.
 — عبد بن حميد المتوفى سنة ٢٤٩ هـ.
 — ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.

وهؤلاء جمعوا أقوال من تقدمهم وصنفوا التفاسير^(١) التي ضاع أكثرها فلم يبق منها إلا النذر اليسير. فكانوا بذلك، ارهاصا لابن جرير الطبري — فيما أوضحناه لك — الذي يوشك المفسرون من بعده أن يكونوا عالة عليه فيما ساقه من كثرة كاثرة من التفسير بالمأثور، وإن كان قد رجح بين الروايات واستنتج بعض الأحكام من الآيات، إلى أن وصل الأمر إلى فريد عصره وزمانه العلامة البحر الامام السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، فلقد انفرد بالمأثور الخالص، وإن كان هناك بعض التعليقات على بعض المروى في درة فسنقوم بإذن الله تعالى بدراستها دراسة علمية فيما سيأتي.

وعليه فلا صحة لقول الخصم الألد الأستاذ جولد تسيهر. إذ يحرص دائما أن يطلق التشكيكات العارية عن الدليل فراه في هذا المجال يقول: (من الظواهر التي لاحظناها حتى الآن يمكن إستخلاص أنه لا يوجد تفسير مأثور موحد للقرآن، فمن ناحية يروى عن صحابة مختلفين وجوه مختلفة، وكثيراً متعارضة في تفسير مواضع من القرآن، ومن ناحية أخرى تنسب إلى صحابي واحد بعينه أقوال مختلفة في دلالة بعض مفردات أو سائر تراكيب جمالية، وعلى هذا يمكن عد وجوه من التفسير مختلفة بعضها مع بعض، ومتعارضة بعضها مع بعض تفسيراً بالعلم مع التسوية بينها جميعاً في الحق^(٢)).

فقوله (وجوه مختلفة) يتجاهل أن الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد وقوله (متعارضة) غير صحيح، فإنه في حالة صحة الاسناد عن الصحابة فلا يوجد تعارض التبة.

(١) انظر البرهان ١٥٩/٢ وطبقات المفسرين للسيوطي، ص ٢٠ وما بعدها وشذرات الذهب ٢٦٠/٢ وتاريخ بغداد ١٦٣/٢.

(٢) مذاهب التفسير الاسلامي ١٠٤، وأنظر فيه أيضاً ٤٨، ١٠٣ نجده متحاملاً حيث لا وجه لصواب ما قال.

وقوله (تنسب إلى صحابي واحد بعينه أقوال مختلفة)، فلو أعمل فكره قليلاً لأدرك أن الأقوال تأتي عن طريق الأسانيد، واننا لاصطفاء القول الصحيح ننقد الأسانيد توصلنا إلى ضبطها، ثم نضرب صفحا عن الأسانيد الواهية، وإذا نظر بقليل من الامعان فيما ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه عن اختلاف التنوع واختلاف التضاد^(١). وما ذكره هذا المتحامل من مهاترات لوجه لها لكفانا مؤونة الرد عليه، وكفى الصحف شر ماسودها به من افتراء.

ولعلك تدرك الآن عظيم خطر مثل هذا المتحامل، ونريد هنا فنقول: إن أشد منه خطراً هؤلاء الذين ينهجون مسلكه عن قصد أو بدون، وخاصة مشاهير الكتاب من أصحاب الأقلام الرائجة في حقل الإعلام فاحذرهم تسلم.

وليسعنا هنا إلا أن نعود فنذكر ان القرآن الكريم ظل شغل الناس الشاغل في كل زمان ومكان طيلة القرون الأربعة عشر السالفة، وسيظل — بعون الله تعالى — كذلك أمد هذه الدنيا يتنافس في الكتابة في رحابه العلماء والباحثون من المسلمين ومن غيرهم ممن حسنت نواياهم.

وسنحاول — بعون الله — سبحانه وتعالى — أن نلجم كل من تطاول، وذلك بعرض المعول عليه في منهج التفسير بالأثر، ومدى الحرص التام على أن يصل إلينا هذا النوع بأدق مايكون من جهة سنده ومنتها معاً، كما سيتبين من الدراسة.

ثم نعرض بعد ذلك مناهج أصحاب التفسير بالأثر من خلال ما ألفوا فيما هو آت :

أولاً : التفسير بالأثر المجرد ويمثل ذلك السيوطي ومنهجه، في تفسيره «الدر المنثور».

ثانياً : التفسير بالمأثور مختلطاً بالرأى :
(أ) ابن جرير الطبري ومنهجه في تفسيره.

(١) أنظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٣/٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٤.

- (ب) ابن الجوزى ومنهجه في تفسيره.
(ج) ابن كثير ومنهجه في تفسيره.
(د) الشنقيطى ومنهجه في تفسيره.
(هـ) يحيى بن سلام ومنهجه في تفسيره.

منهج التفسير بالمأثور ومدى الحرص التام على تنقية مايعول عليه من جهة السند والمتن معاً

يذكر شيخ الإسلام ابن تيميه: (أنه اذا صح النقل، صدق الخبر، كإسم صاحب موسى أنه الخضر، وان لم يصح النقل لم يصدق الخبر، مثل ما روى عن لون كلب أهل الكهف، والبعض الذي ضرب به موسى البقرة، وفي مقدار سفينة نوح ومكان خشبها، وفي إسم الغلام الذي قتله الخضر، وغير ذلك. فإنه مما يؤخذ عن أهل الكتاب وموقفنا منهم معروف، فإذا روى عنهم ما يوافق الكتاب والسنة صدقناه، واذا روى عنهم ما يخالف الكتاب والسنة كذبناه. وما روى عنهم عدا ذلك لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة، كما ثبت في الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، فإذا أن حدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل، فتصدقوه»^(١).

اذن فإسناد الصحيح عن المعصوم لا يشك أحد كائناً من كان أنه حجة في التفسير وغيره.

ولقد أدرك شيخ الإسلام أن التفسير بالمأثور لا يصل إلينا إلا عن طريق الرواية والأسناد، وأن الأسانيد ليست سواء في الصحة والضعف، ثم بين موقف الامام أحمد بن حنبل من الإحتجاج بالحديث الضعيف، مزيلاً عنه بعض الشكوك التي قد تعلق في بعض الأذهان المريضة فيقول: (وما نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد غلط عليه، ولكنه كان في عرف أحمد ابن حنبل، ومن قبله من العلماء ينقسم إلى نوعين: صحيح، وضعيف والضعيف عندهم ينقسم إلى ضعيف متروك لا يحتج به، وإلى ضعيف حسن وأول من عرف أنه قسم

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣/٣٤٥.

الحديث ثلاثة أقسام. صحيح وحسن وضعيف أبو عيسى الترمذى في جامعه، والحسن عنده ما تعددت طرقه ولم يكن في روايته متهم وليس بشاذ، فهذا الحديث وأمثاله يحسبه أحمد ضعيفا ويحتج به^(١).

وأما عن الموقوف فنجد شيخ الإسلام يحرص على أن يدفع شكوكا قد تتطرق إلى ذهن الباحث فيعلن عن قبول الموقوف على الصحابي — ويقصد بالموقوف ما روى عن الصحابة من قول أو فعل أو تقرير كأن يقول الراوى: قال عمر بن الخطاب كذا أو فعل كذا أمام أبي بكر فأقره ولم ينكره — ويرى أنه يحتج به اذا صح النقل وذلك لأمرين :

- ١ — احتمال سماعه من النبي (ﷺ).
- ٢ — نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل وفي حدود المسموح به، وعلم عنهم أنهم كانوا يتورعون عن القول في كتاب الله سبحانه وتعالى.

ولقد خالف بعض العلماء شيخ الإسلام فذهبوا إلى أضعاف الموقوف عموما صح النقل عن الصحابي أو لم يصح وحتجتهم في ذلك أن للحديث المروى عن رسول الله (ﷺ) قداسة ليست لحديث سواه. ولو كان صحابيا جليلاً.

وإنى أرى أن ما ذهب إليه شيخ الإسلام في الاحتجاج بالموقوف أولى اذا صح النقل يقول ابن حجر: (لأننا حين نحكم له بالصحة أو الحسن اذا توافرت فيه شروط أحدهما نعلم يقينا أننا انما نصحح أو نحسن حديث الصحابي لاحديث رسول الله (ﷺ) فلم تكذب عليه (ﷺ) لاساهين ولا متعمدين، ولم نضع فيه ما لم يتلفظ به ووصفنا للموقوف بالصحة أو الحسن لايغنى وجوب عملنا به وانما نبيح لأنفسنا العمل بما ثبت منه أنه لامجال للرأى والاجتهاد فيه)^(٢).

(١) أنظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٥٤/١٢، وأنظر علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٨.

(٢) أنظر شرح نخبه الفكر في مصطلح أهل الأثر ص ٢٩.

ونواصل مع شيخ الإسلام في دفعة الشكوك التي يتعلل بها البعض للطعن في الطرق التي ينقل من خلالها التفسير إلينا وهي قضية الارسال ومدى حجية المراسيل^(١) اذا أتى التفسير عن طريقها، اذ يقول : (.. والمراسيل اذا تعدد طرقها وخلت عن المواطأة قصداً أو اتفاقاً بغير قصد كانت صحيحة قطعاً فإن النقل إما أن يكون صدقاً مطابقاً للخبر، وإما أن يكون كذباً تعمد صاحبه الكذب أو أخطأ فيه فمتى سلم من الكذب العمد، والخطأ كان صدقاً بلا ريب.

فاذا كان الحديث جاء من جهتين أو جهات وقد علم أن المخبر من لم يتواطأ على اختلاقه، وعلم أن مثل ذلك لا تقع الموافقة فيه اتفاقاً بلا قصد علم أنه صحيح^(٢).

يريد أن ماجاء من التفاسير عن طريق مثل هذه المراسيل فهو صحيح يعتمد عليه ومعلوم أن الحديث المتواتر لا أختلاف بين المحدثين في حجته وأنه يوجب العلم الضروري والعلم، وكذلك صار العقلاء على اختلاف مشاربهم.

وأما حديث الأحاد فقد اختلف فيه^(٣) بيد أن شيخ الإسلام يقول: (وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من

(١) يقول الدكتور ناصر بن محمد الحميد: يرى صبرى المتولى في كتابه منهج ابن تيمية في التفسير ان ابن تيمية أتى برأى مستقل في هذا — يقصد المراسيل — والصحيح انه لم يأت برأى مستقل وأن هناك طائفة من العلماء قبل ابن تيمية يرون هذا الرأي (انظر مثلاً تقريب النوى وشرحه تدريب الراوى ١/١٩٨، والتقييد والايضاح ص ٣٧٣ والقواعد في علوم الحديث ص ١٣٩م انظر في هذا ابن تيمية ومنهجه في تفسير القرآن ١/٢٨٨.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٦٢.

(٣) أنظر شرح نخبه الفكر في مصطلح أهل الأثر ص ٦، والأحكام في أصول الأحكام ١/١١٩.

أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد...^(١).

ولقد قامت جهود مضمينة من أهل فن علم الحديث في هذا الشأن فأفردوا علما خاصا يسمى علم (علل الحديث) يرجع إليه الفضل في كشف العلل القادحة في صحة الحديث وإن كان سنده يبدو — في الظاهر — جيدا^(٢).

يقول الشيخ الزرقاني: إن علم علل الحديث تتجلى أهميته في كونه علما يبحث عن الأسباب الخفية الغامضة من حيث أنها تقدر في صحة الحديث كوصل منقطع، ورفع موقوف وإدخال حديث في حديث وما شابه ذلك^(٣).

ولقد إتضح أمامك مدى دقة العلماء في نقد المرويات التي يعول عليها في التفسير بالمأثور، وأنه لا يقبل فيه إلا ما طمأنت النفس إليه من الصحة.

وأيضاً قد اعتنى القوم في موضوع غاية في الخطورة من حيث إضلاله الناس وهو الموضوعات التي وجدت في قليل من التفسير، وظلوا يحذرون من التهاون بها أو التعويل عليها. ولقد بدأ ظهور الموضوعات في سنة ٤١ هـ. حين تنازع المسلمون شيعة وأحزابا وانقسموا سياسيا إلى جمهور وخوارج وشيعة^(٤). فالواضع لايهمة في شيء صحة المتن ولا سلامة السند وأكثر ما يكون الاختلاف من تلقاء نفس الواضع بألفاظ من صياغته واسناد من نسجه^(٥).

(١) أنظر مجموع الفتاوى ٤١/١٨.

(٢) المرجع السابق ١٩/١٨.

(٣) المنهل الحديث في علوم الحديث.

(٤) انظر علوم الحديث ومصطلحه ٣٦٦.

(٥) انظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص ٢٠.

ولقد ذكر شيخ الاسلام بعض النماذج من الموضوعات ثم يعقب على ذلك مؤكداً قيمة التفسير المأثور من جهة حماية الحق سبحانه وتعالى فيقول:

(إن المنقولات التي نحتاج إليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان مافيها من صحيح وغيره^(١)).

ونحيل القارئ الكريم إلى ماكتب في هذا الجانب فهو جيد ومفيد لمن أراد خيراً فلتبه.

(١) أنظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٤٦/١٣ — ٣٥٤، والاسرائليات في التفسير والحديث ص ٢٠٧، والتفسير والمفسرون ٢٣٤/١ — ٢٣٧ — ٢٣٨.

نماذج من الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور ودراستها

أولاً: التفسير بالأثر المجرد

«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي.

تأتي أهمية هذا التفسير من أنه التفسير الوحيد بين كتب التفسير النقلي الذي اقتصر على النقل دون اعمال للرأى، وهو يعد أشد هذه التفاسير تمسكا بالأثر والتزاما بمنهجه، ويقع هذا التفسير في ستة أجزاء.

التعريف بصاحب الكتاب :

هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال بن محمد بن سيف الدين بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ همام الدين الخضيرى^(١) السيوطى الشافعى المسند المحقق ...

مولده

يقول السيوطى : (كان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة هـ - أكتوبر ١٤٤٥م).

نشأته وثقافته :

ولد السيوطى يتيما فقد توفى والده وله من العمر خمس سنوات، وسبعة أشهر وأسندت وصايته إلى جماعة منهم الكمال بن الهمام، فقرر في وظيفة الشيخونية وقد وصل في القراءة إلى سورة التحريم،

(١) يذكر السيوطى أن هذه النسبة إلى الخضيرية محله ببغداد وهي موطن أسرته وتعرف الآن بسوق خضير، ثم أرتحلت الأسرة إلى أسيوط مدينة بصعيد مصر. إليها انتسب وأشتهر. انظر حسن المحاضرة، وطبقات الحفاظ ص ١٠ ومعجم البلدان ج ٣ ص ١١٢، وشذرات الذهب ج ٨/٤١.

ولقد حباه الله سبحانه وتعالى من أسباب النجاح في الحياة ما جعله آية في العلم.

فقد أتم حفظ القرآن الكريم وله من العمر ثمان سنوات وقبل ذلك أحضره والده مجلس الحافظ : ابن حجر وهو في الثالثة من عمره ويقول عن نفسه (ثم حفظت العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية بن مالك، وشرعت في الاشتغال بالعلم، من مستهل سنة ٦٤ فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ وأخذت الفرائض عن العلامة الشيخ شهاب الدين الشارح مساصي ... قرأت عليه في شرحه على المجموع.

ولقد أخذ السيوطي العلم عن : ستمائة شيخ هكذا رواه تلميذه الشعراني في طبقاته الصغرى.

وقد ذكر الداودي في ترجمته أسماء شيوخه إجازة وقراءة وسماعاً مرتين على حروف المعجم فبلغ عدتهم إحدى وخمسون نفساً.

وتأثر السيوطي بهذه البيئة فلقد نشأ بين الكتب حتى لقب بابن الكتب، وترك له والده مكتبة ذخرة بالمصنفات ولقد كان سريع الكتابة حاضر البديهة، طريقته في التأليف فريدة في بابها اذ يقدم في أول كتابه منهجه الذي سيسير عليه في الكتابة.

ويقول عن نفسه : رزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع.

وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث. متناً وسنداً وله باع طويل في علم علل الحديث، وله شعر جيد أغلبه في الفوائد العلمية والأحكام الشرعية.

مؤلفاته :

بلغت مؤلفات السيوطي فيما ذكره صاحباً دليل مخطوطات
السيوطي ٩٨١ ما بين مخطوط ومطبوع.

وفاته :

كانت وفاته في جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ^(١).

(١) أنظر شذرات الذهب ج ٨ ص ٥٤ . وطبقات الحفاظ ١٠ وطبقات المفسرين ص
١٨ السيوطي محدثاً والكواكب السائرة ج ١/٢٢٧ . وحسن المحاضرة ١/٣٣٨
ومؤلفات السيوطي ٨٧ ودليل مخطوطاته ٧ تدريب الراوي ١٢ .

الدر المنشور في التفسير المأثور ومنهج مؤلفه فيه

ذكرنا لك في ترجمته أن له طريقة فريدة في بابها، لأنه ينير الطريق للقارئ، ففي مقدمة الدر المنشور يبين ذلك فيقول: (وبعد فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ)، وتم بحمد الله في مجلدات فكان مأوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة فيها واردات — طرق كثيرة — رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ورغبتهم في الاختصار على متون الأحاديث دون الاسناد وتطويله فلخصت منه هذا المختصر مقتصرًا فيه على متن الأثر مصدره مصدرًا بالعزو والتخريج إلى كل كتاب مفيد وسميته (بالدر المنشور في التفسير المأثور^(١)).

ويتبين لنا من هذا أن (كل ما فيه هو سرد الروايات عن السلف في التفسير دون أن يعقب عليها فلا يعدل ولا يجرح ولا يضعف ولا يصحح فهو كتاب جامع فقط لما يروى عن السلف في التفسير أخذه السيوطي من البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأحمد وأبي داود وابن جرير وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وغيرهم ممن تقدم ودون التفسير^(٢)).

ولا يفوتنا هنا أن ننبه كما أشرنا سابقا إلى أن كتاب الدر المنشور هو الوحيد بين الكتب الذي اقتصر على التفسير بالمأثور وذلك ليفرق بين هذا الكتاب وبين كتاب آخر أشار إليه السيوطي، حتى إذا ما ظهر تكون الرؤيا بينهما واضحة اذ يقول: (وقد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة والأقوال المعقولة والاستنباطات والإشارات والأعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع، وغير ذلك بحيث لا يحتاج منه إلى

(١) الدر المنشور في التفسير المأثور ٢/١.

(٢) التفسير والمفسرون ٢٥٣/١، ٢٥٤.

غيره أصلاً وسميته: بمجمع البحرين ومطلع البدرين^(١) وهو الذي جعلت
هذا الكتاب — يعنى الاتقان — مقدمة له^(٢).

-
- (١) انظر كشف الظنون ١٥٩٩ وحسن المحاضرة ٢٣٩/١، وهداية العارفين ٥٤٢/١
وهو شرح التفسير المسمى تحرير الرواية وتنوير الدراية انظر مخطوطاته ٤١.
(٢) انظر الاتقان ١٩٠/٢.

نماذج من هذا التفسير ودراساتها

سيكون منهجنا — بعون الله تعالى — في عرض النماذج أن نخرج الآثار التي ذكرها عن أصحابها الذين نقل عنهم، ثم نعقب بعد ذلك بما يستفاد من النص في ضوء ماذكر من آثار، وذلك نظراً لأهمية الكتاب.

النموذج الأول :

في الأحكام

قال تعالى :

﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت، أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾.

الآية ١٥٨ — سورة البقرة

قال في الدر المنثور ١/١٥٩ — ١٦١ مانصه :
قوله تعالى ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية.

أخرج مالك في الموطأ وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن أبي داؤد وابن الأنباري في المصاحف معا وابن ابي حاتم والبيهقي في السنن عن عائشة أن عروة قال لها: أرايت قول الله تعالى: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ فما أرى على أحد جناحا أن لايطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت ياابن أختي، انها لو كانت على ما أولتها كانت: فلا جناح أن لايطوف بهما، ولكنها انما نزلت: ان الانصار — قبل أن يسلموا — كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها، وكان من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفاء والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله انا كنا نتخرج أن نطوف بالصفاء والمروة في الجاهلية فأنزل الله: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية، قالت عائشة: ثم قد سن رسول الله ﷺ

الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما^(١).
وأخرج عبد بن حميد والبخاري والترمذي، وابن جرير، وابن أبي داود
في المصاحف وابن أبي حاتم وابن السكن والبيهقي عن أنس أنه سئل عن
الصفاء والمرورة قال: كنا نرى أنهما من الجاهلية، فلما جاء الإسلام امسكنا
عنهما فأنزل الله: ﴿ان الصفاء والمرورة من شعائر الله﴾^(٢).

(١) أخرجه الامام مالك في الموطأ ٣٧٣/١ كتاب الحج باب جامع السعي عن هشام
ابن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة: وذكر الحديث.

وأخرجه الامام أحمد في مسنده ١٤٤/٦، ١٦٢، ٢٢٧ عن عروة عن عائشة.
وأخرجه الامام البخاري في صحيحه ٢٨/٦ كتاب التفسير باب قوله: ان الصفاء
والمرورة من شعائر الله عن هاشم بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة.

وأخرجه الامام مسلم في صحيحه ٩٢٩/٢ كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين
الصفاء والمرورة ركن لا يصح الحج إلا به عن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة.
وأخرجه أبو داود في سننه ١٨١/٢ كتاب المناسك (الحج) باب: أمر الصفاء
والمرورة عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة.

وأخرجه النسائي في السنن ١٩٠/٥ كتاب مناسك الحج ذكر الصفاء والمرورة عن
عروة قال: قرأت عن عائشة فلا جناح عليه أن يطوف بهما وذكر الحديث.

وأخرجه ابن ماجه في سننه ٩٩٤/٢ كتاب المناسك باب السعي بين الصفاء والمرورة
عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي قلت لعائشة: وذكر الحديث.

وأخرجه الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩/٢ عن عروة بن الزبير قال:
سألت عائشة.

وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ٩٩ — ١٠٠ عن هشام.

وأخرجه الترمذي ٢٠٨/٥ — ٢٠٩ عن عروة قال: قلت لعائشة قال أبو عيسى هذا
حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الامام البخاري في صحيحه ٢٨/٦ كتاب التفسير باب إن الصفاء والمرورة من
شعائر الله ... عن أنس.

وأخرجه الامام الترمذي في سننه ٢٠٩/٥ كتاب التفسير باب: ومن سورة البقرة عن
أنس.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩/٢ عن أنس.

وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ١٠٠ عن أنس.

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مرداوية عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية في الانصار كانوا في الجاهلية اذا أحرموا لايحل لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما قدمنا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿أَنْ الصفا والمروة من شعائر الله﴾^(١).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي داود في المصاحف وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كانت الشياطين في الجاهلية تعزف الليل أجمع بين الصفا والمروة فكانت فيها آلهة لهم أصنام، فلما جاء الاسلام قال المسلمون: يارسول الله، لانطوف بين الصفا والمروة فانه شيء كنا نصنعه في الجاهلية، فأنزل الله ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ يقول: ليس عليه اثم ولكن له أجر^(٢).

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قالت الانصار: ان السعي بين الصفا والمروة من أمر الجاهلية، فأنزل الله: ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية^(٣).

وأخرج ابن جرير عن عمرو بن حيش قال: سألت ابن عمر عن قوله: ان الصفا والمروة الآية فقال: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فانه أعلم من بقي بما انزل على محمد فأتيته فسألته فقال: انه كان عندهما أصنام فلما اسلما

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٧٢ كتاب التفسير من سورة البقرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢/٢٨ عن ابن عباس. وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ١٠٠ - ١٠١ عن ابن عباس. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٧١ كتاب التفسير من سورة البقرة عن ابن عباس وقال.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٤٨ كتاب الحج باب ماجاء في السعي عن ابن عباس وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه حفص بن جميع وهو ضعيف.

أَمْسَكُوا عَنِ الطَّوَّافِ بَيْنَهُمَا حَتَّى أَنْزَلْتُ: إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ الْآيَةُ^(١).

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الْآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ نَاسًا تَخْرُجُوا أَنْ يَطُوفُوا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُمَا مِنْ شَعَائِرِهِ الطَّوَّافِ بَيْنَهُمَا أَحَبُّ إِلَيْهِ، فَمَضَتْ السَّنَةُ بِالطَّوَّافِ بَيْنَهُمَا^(٢).

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر عن عامر الشعبي قال: كَانَ وَثْنٌ بِالصَّفَا يُدْعَى إِيسَافَ، وَوَثْنٌ بِالْمَرْوَةِ يُدْعَى نَائِلَةَ، فَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا طَافُوا بِالْبَيْتِ يَسْعَوْنَ بَيْنَهُمَا، وَيَمَسِّحُونَ الْوَثْنَيْنِ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ إِنَّمَا كَانَا يَطَافُ بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْلِ الْوَثْنَيْنِ وَلَيْسَ الطَّوَّافُ بِهِمَا مِنَ الشَّعَائِرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ الْآيَةُ، فَذَكَرَ الصَّفَا مِنْ أَجْلِ الْوَثْنِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، وَأَنْتَ الْمَرْوَةُ مِنْ أَجْلِ الْوَثْنِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مَوْثِنًا^(٣).

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد عن مجاهد قال: قَالَتْ الْأَنْصَارُ: إِنَّمَا السَّعْيُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ قَالَ: مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَخْبَرْتُمْ عَنْهُ فَلَمْ يُحْرَجْ مِنْ لَمْ يُطَفِّ بِهُمَا، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فَتَطَوَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَانَتْ مِنَ السَّنَنِ فَكَانَ عَطَاءٌ يَقُولُ: بِدَلِّ مَكَانَهُ سَعْيَيْنِ بِالْكَعْبَةِ إِنْ شَاءَ^(٤).

أَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَطُوفُونَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ،

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ٢٨/٢ عَنْ عَمْرِو بْنِ حَبِيشٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ٢٨/٢ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ٢٨/٢ عَنْ الشَّعْبِيِّ.

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ٢٨/٢ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَفِيهِ: قَالَتْ

الْأَنْصَارُ: إِنْ السَّعْيُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ.

وكان من سنة ابراهيم واسماعيل الطواف بينهما^(١).

واخرج عبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن جرير وابن مرداوية والبيهقي في سننه من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان رجال من الأنصار ممن كان يهل لمناة في الجاهلية، ومناة صنم بين مكة والمدينة، قالوا يا نبي الله: انا كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيما لمناة فهل علينا أن نطوف بهما فأنزل الله: ان الصفا والمروة من شعائر الله .. الآية، قال عروة: فقلت لعائشة: ما بأبالي أن لايطوف بين الصفا والمروة قال: فلا جناح عليه أن يطوف بهما، فقالت: يابن أختي ألا ترى أنه يقول: ان الصفا والمروة من شعائر الله، قال الزهري: فذكرت ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث به هشام فقال: هذا العلم قال أبو بكر: ولقد سمعت رجلا من أهل العلم يقولون لما أنزل الله الطواف بالبيت، ولم ينزل الطواف بين الصفا والمروة قيل للنبي ﷺ: انا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة وان الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر بين الصفا والمروة فهل علينا من حرج ألا نطوف بهما فأنزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية كلها.

قال أبو بكر فاسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كلاهما فيمن طاف وفيمن لم يطف^(٢).

وأخرج وكيع وعبد الرزاق وعبد بن حميد ومسلم وابن ماجه وابن جرير عن عائشة قالت: لعمرى ما أتم الله حج من لم يسع بين الصفا والمروة

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩/٢ عن قتادة.

(٢) أخرجه الامام مسلم في صحيحه ٩٢٩/٢ كتاب الحج باب بيان السعي بين الصفا والمروة عن الزهري عن عروة عن عائشة.

وأخرجه الترمذي ٢٠٨/٥ — ٢٠٩ كتاب التفسير باب ومن سورة البقرة عن الزهري عن عروة عن عائشة قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩/٢.

ولاعمرته ولأن الله قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله^(١).

وأخرج عبد بن حميد، ومسلم عن أنس قال: كانت الأنصار يكرهون السعى بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾، فالطواف بينهما تطوع^(٢).

وأخرج أبو عبيد في فضائله، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي داود في المصاحف وابن المنذر وابن الانباري عن ابن عباس أنه كان يقرأ: فلا جناح عليه أن يطوف بهما^(٣).

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عطاء قال: في مصحف ابن مسعود فلا جناح عليه أن يطوف بهما^(٤).

(١) أخرجه الامام مسلم في صحيحه ٩٢٨/٢ كتاب الحج باب بيان أن السعى بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج الا به عن عائشة.
وأخرجه ابن ماجة في سننه ٩٩٤/٢ — ٩٩٥ كتاب المناسك باب: السعى بين الصفا والمروة عن عائشة.

وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/٢ عن عائشة.
(٢) أخرجه الامام مسلم ٩٣٠/٢ كتاب الحج باب بيان أن السعى بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج الا به عن أنس.

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن مخطوطات برلين تحت رقم ١٦٠ باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط لوحة ٣٣/ عن عطاء عن ابن عباس.

وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/٢ عن ابن عباس.
وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٧٣ عن عطاء عن ابن عباس.
(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/٢ وفيه قال عطاء: لو أن حاجا أفاض بعد مارمى حجرة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها — يعنى امرأته لم يكن عليه شيء لا حج ولا عمرة من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود: فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، فعاودته بعد ذلك، فقلت أنه قد ترك سنة النبي ﷺ، قال ألا تسمعه يقول: فمن تطوع خيرا فأبى أن يجعل عليه شيئا

ومن هذا يتضح أنه ربما حدث سقط فيما ذكره السيوطي فليراجع.

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن حماد قال: وجدت في مصحف أبي فلا جناح عليه أن يطوف بهما^(١).

وأخرج ابن أبي داود عن مجاهد أنه كان يقرأ فلا جناح عليه أن يطوف بهما^(٢).

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس أنه قرأ فلا جناح عليه أن يطوف مثقلة، فمن ترك فلا بأس^(٣).

وأخرج سعيد بن منصور والحاكم وصححه عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال: أبدأ بالصفاء قبل المروة، وأصلي قبل أن أطوف، أو أطوف قبل وأحلق قبل أن أذبح، أو أذبح قبل أن أحلق فقال ابن عباس: خذوا ذلك من كتاب الله فإنه أجدر أن يحفظ قال الله: ان الصفا والمروة من شعائر الله. فالصفا قبل المروة، وقال لا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فالذبح قبل الحلق، وقال: طهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود والطواف قبل الصلاة^(٤).

وأخرج وكيع عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس. لم بدىء بالصفاء قبل المروة قال لأن الله قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله.

وأخرج مسلم والترمذي، وابن جرير والبيهقي في سننه عن جابر قال:

(١) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٥٣ عن حماد قال: في مصحف أبي وذكر الأثر.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٨٩ عن حميد عن مجاهد أنه كان يقرأ وذكر الأثر.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٨/٣ كتاب الحج باب ماجاء في السعي عن ابن عباس وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه الياس بن الفضل الانصارى وهو متروك.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٧٠/٢ — ٢٧١ كتاب التفسير من سورة البقرة عن ابن عباس وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا في حجته قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله، أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقى عليه^(١).

وأخرج الشافعي وابن سعد وأحمد وابن نافع والبيهقي عن حنيفة بنت أبي بحران قالت: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم، وهو يسعى حتى أرى ركبته من شدة السعي يدور به أيزاره وهو يقول واسعوا فان الله عز وجل كتب عليكم السعي^(٢).

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ فقال: ان الله كتب عليكم العسقي فاسعوا^(٣).

وأخرج وكيع عن الطفيلي عامر بن وائلة، قال: سألت ابن عباس عن السعي بين الصفا والمروة قال: فعله ابراهيم عليه السلام.

وأخرج الطبراني والبيهقي عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس: تزعم قومك أن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا والمروة، وان ذلك سنه، قال:

(١) أخرجه مسلم ٨٨٨/٢ كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ عن جابر وهو بعض من حديث طويل من ٨٨٦ — ٨٩٢.

وأخرجه الترمذي ٢١٦/٣ كتاب الحج باب ماجاء أنه بدأ بالصفا قبل المروة عن جابر قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/٢.

(٢) أخرجه الدار قطني ص ٢٧٠ وقال الألباني في ارواء الغليل صحيح، وأخرجه الشافعي ١٠٢٥ وأبو نعيم في الحلية ١٥٩/٩، والبيهقي ٩٨/٥. وفيه عن حبيبة بنت نجره ولعل هذا هو الصواب (أنظر ارواء الغليل ٢٦٧/٤ — ٢٦٩ والأم ٢١٠/٢ — ٢١١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨٤/١١ — يقول المحقق قال في المجمع ٢٣٩/٣ رواه الطبراني في الأوسط ١٤٨ مجمع البحرين، وفيه الفضل بن صدفه وهو ضعيف، وقال ٢٤٨/٣ بعد أن نسبه لكبير وفيه الفضل بن صدفه وهو قد ذل، قلت صححه شيخنا.

صدقوا ان ابراهيم لما امر بالمناسك، اعترض عليه الشيطان عند المسعى فسبقة ابراهيم^(١).

وأخرج الحاكم عن ابن عباس أنه رآهم يطوفون بين الصفا والمروة، فقال: هذا مما أورثك أم اسماعيل^(٢).

وأخرج الخطيب في تالي التلخيص عن سعيد بن جبير قال: أقبل ابراهيم ومعه هاجر واسماعيل عليهم السلام فوضعهم عند البيت فقالت: الله أمرك بهذا قال نعم، قال فعطش الصبي فنظرت فاذا أقرب الجبال إليها الصفا فاتبعته فرقت عليه، فنظرت فلم تر شيئا، ثم نظرت فاذا أقرب الجبال إليها المروة فنظرت فلم ترى شيئا، قال: فهي أول من سعى بين الصفا والمروة، ثم أقبلت فسمعت حفيفا أمامها قالت: قد اسمع فان يكن عندك غياث فلهم، فاذا جبريل أمامها يركض زمزم بعقبه فبعب الماء فجاءت بشيء لها تغرى فيه، قال لها: تخافين العطش، هذا بلد حذيفان الله، لاتخافون العطش^(٣).

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان عن عائشة قالت، قال رسول الله ﷺ: انما جعل الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار لاقامة ذكر الله لا لغيرة^(٤).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/٣٢٦ — ٣٢٧ مطولا يقول المحقق ورواه أحمد ٧٠٧ ط مطولا هكذا في المجمع ٣/٢٥٩ ورجاله ثقات وقال ٨/٢٠١ ورجاله رجال الصحيح غير أبي عاصم وهو ثقة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٢٧١ كتاب التفسير من سورة البقرة عن ابن عباس قالت هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٥/٩٨ — ٩٩ كتاب الحج باب بدء السعى بين الصفا والمروة عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس وقال رواه البخاري في الصحيح عن عبد الله عن محمد عن عبد الرزاق.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/٣٢ في مصنفه كتاب الحج في الذكر في الطواف عن عائشة وأخرجه أبو داود ٢/١٧٩ كتاب المناسك باب الرمل عن عائشة.

وأخرجه الترمذي ٣/٢٤٦ كتاب الحج باب ماجاء كيف ترمى الجمار عن عائشة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرج الأزرقى^(١) عن أبي هريرة قال: السنة في الطواف بين الصفا والمروة أن ينزل من الصفا ثم يمشى حتى يأتي بطن المسيل، فإذا جاءه سعى حتى يظهر منه ثم يمشى حتى يأتي المروة.

وأخرج الأزرقى من طريق مسروق عن ابن مسعود أنه خرج إلى الصفا فقام إلى صدع فيه فلبى فقلت له: ان ناسا ينهون عن الاهلال ههنا، قال: ولكنى أمرك به هل تدري. ما الاهلال؟ انما هي استجابة موسى لربه، فلما أتى الوادى رمل وقال: رب اغفر وارحم انك أنت الأعز الأكرم.

وأخرج الطبرانى والبيهى في سننه عن ابن مسعود أنه قام على الصدع الذي في الصفا وقال هذا — والذي لا اله غيره — مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة^(٢).

قوله تعالى ﴿ومن تطوع خيراً﴾.

أخرج ابن أبى داود في المصاحف عن الأعمش قال في قراءة عبد الله «ومن تطوع بخير»^(٣).

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر أنه كان يدعو على الصفا والمروة يكبر ثلاثاً سبع مرات يقول: لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا اله الا الله، ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وكان يدعو بدعاء كثير حتى يبطئنا وأنا لشباب، وكان من دعائه اللهم اجعلنى ممن يحبك، ويحب ملائكتك، ويحب رسلك، ويحب عبادك الصالحين، اللهم حبنى اليك وإلى ملائكتك وإلى

(١) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله محمد بن عبد الله أحمد الأزرقى صاحب كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار.

(٢) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى ٩٥/٥ كتاب الحج باب الخروج إلى الصفا والمروة والسعى بينهما والذكر عليهما عن علقمه والأسود قال قال عبد الله بن مسعود وذكر الحديث .

(٣) أخرجه ابن أبى داود في كتاب المصاحف ص ٥٧ عن الأعمش.

رسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم يسرنى لليسر، وجنبنى للعسر، واغفر لي في الآخرة والأولى، واجعلني من الأئمة المتقين، ومن ورثة جنة النعيم، واغفر لي خطيئتي يوم الدين، اللهم انك قلت: ادعوني استجب لكم، وانك لا تخلف الميعاد، اللهم اذ هديتني للإسلام فلا تنزعه مني، ولا تنزعني منه حتى توفاني على الإسلام، وقد رضيت عني، اللهم لا تقدمني للعذاب ولا تؤخرني لسيء الفتن^(١).

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب قال: من قدم منكم حاجا فليبدأ بالبيت فليطف به سبعا، ثم ليصلي ركعتين عن مقام ابراهيم، ثم ليأتي الصفا فليقم عليه مسقبلا الكعبة، ثم ليكبر سبعا بين كل تكبيرتين حمد لله وثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ ويسأله لنفسه وعلى المروة مثل ذلك^(٢).

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن عباس قال: ترفع الأيادي في سبع مواطن اذا قام إلى الصلاة واذا رأى البيت وعلى الصفا والمروة وفي عرفات، وفي جمع وعند الجمرات^(٣).

وأخرج الشافعي في الأم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ترفع الأيدي في الصلاة واذا رأى البيت، وعلى الصفا والمروة، وعلى عرفات وجمع وعند الجمرتين وعلى البيت^(٤).

قوله تعالى: ﴿فان الله شاکر عليم﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: لا شيء أشكر من الله ولا أجزي بخير من الله عز وجل.

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٩/٣ كتاب الحج باب الطواف والرمي والاستلام عن نافع قال كان ابن عمر وذكر الحديث وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٦٩/١٠ — ٣٧٠ — كتاب الدعاء عن عمر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٩٦/٤ كتاب الحج عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الشافعي في الام ١٦٩/٢ كتاب الحج باب القول عند رؤية البيت عن ابن عباس.

التعقيب

بعد عرضنا لك هذا النموذج من كتاب «الدر المنثور في التفسير المأثور» وبعد أن خرجنا لك الآثار التي ذكرها تفسيرا للنص الكريم — ما كان ممكنا منها وإنه لكثير — وبقراءتك لهذه الآثار يتضح لك أمران:

الأمر الأول :

ان المؤلف — رضى الله عنه — ذكر الآثار الواردة حول هذا النص سواء المرفوع منها أو المرسل، أو الموقوف، أو مأثور عن التابعين، دون أن يعمل رأيا أو يناقش حكما، وهو ما ذكرناه لك سابقا عن هذا المنهج.

الأمر الثاني :

ماتناوله هذه الآثار.

١ — سبب نزول الآية

من المعلوم عند المشتغلين بعلم القرآن أن ماورد في أسباب النزول نوعان.

(أ) قطعى : وأمارته أن يقال: سبب نزول الآية كذا. أو حدث كذا، أو سئل النبي ﷺ عن كذا فنزل قول الحق كذا.

وذلك بقاء تعقيبه داخلة على مادة النزول (ب) محتمل : وأمارته أن يقول الراوى: ما أحسبه، أو ماأظنه الا نزل في كذا وهذا النوع يعتمد به شرحا للآية، واستبطا للحكم.

وباستعراض ما ذكره الشيخ يتضح أنه عمد إلى ذكر ما هو قطعى في سبب النزول وما هو محتمل وقد وضح من الآثار أن السعى بين الصفا والمروة كان أمرا معروفا في الجاهلية تعظيما للأصنام، فلما جاء الاسلام ومنع عبادتها، تخرج المسلمون في السعى بينهما فأنزل الله هذه الآية الكريمة رفعا

للحرج عنهم وبيانا أنها من شعائر الله — والمراد بشعائر الله هنا مناسك الحج والعمرة — وأن كلا من النبيين ابراهيم، واسماعيل، وموسى قد سعى بينهما.

٢ — القراءات الواردة في الآية الكريمة، وهي وان تكن قرآنا يتلى فيستعان بها في التفسير ذكرت الآثار من القراءات: أن يطوف مثقلة، وأن يطوف، وأن لا يطوف.

٣ — الأحكام الشرعية التي تناولتها الآية الكريمة، على ضوء ما ذكر من آثار.

حكم السعى بين الصفا والمروة، وصفته وجزاء الساعين فيما يلي :

- (أ) السعى بين الصفا والمروة شرع لذكر الله.
- (ب) السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة.
- (ج) السعى بين الصفا والمروة واجب من واجبات الحج والعمرة.
- (د) السعى بين الصفا والمروة سنه.
- (هـ) السعى بين الصفا والمروة تطوع.
- (و) كيفية السعى بينهما.
- (ز) التوجه عند الدعاء إلى البيت.
- (ح) موقف الرسول ﷺ عند الصفا وعند المروة.
- (ط) الاذكار الواردة في السعى.
- (س) جزاء الساعين بينهما.

٤ — ذكر تاريخ السعى :

ذكرت الآثار أن تاريخ السعى بين الصفا والمروة راجع إلى سعى هاجر أم اسماعيل بينهما بحثا عن الماء لتسقى ولدها، كما أشارت إلى قصة زمزم.

هذا ولم تذكر درجة بعض المرويات لأن عدم ذكرها غير مخل بالمقصود.

النموذج الثاني

مسئولية الانسان عن عمله

قال تعالى: ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى، وان تدع مثقله إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾

الآية ١٨ سورة فاطر

قال في الدر المنثور ٢٤٨/٥ — ٢٤٩ مانصه :
قوله تعالى: ﴿ولاتزر وازرة﴾ الآية.

أخرج أحمد والترمذی وصححه والنسائی وابن ماجه عن عمر بن الاحوص أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: ألا لا يجنى جان الا على نفسه لا يجنى والد على ولده ولا مولود على والده^(١).

وأخرج سعيد بن منصور وأبو داود والترمذی والنسائی وابن مرداويه عن

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٢٦/٣ مختصر جدا عن أبي الأحوص.
وأخرجه الترمذی في سننه ٢٧٣/٥ — ٢٧٤ كتاب التفسير باب من سورة التوبة عن أبي الأحوص، وأيضاً في ٤٦١/٤ — ٤٦٢ كتاب الفتن باب ماجاء: دماؤكم وأموالكم عليكم حرام عن أبي الأحوص.
قال أبو عيسى وفي الباب عن أبي بكرة وابن عباس وجابر وخزيمة بن عمرو السعدی وهذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه النسائی في الكبرى ٥٣ كتاب الحج باب ٢٤٣ عن أبي الأحوص وفي تحفة الأشراف ١٣٢/٨.
وأخرجه ان ماجه ١٠١٥/٢ كتاب المناسك باب الخطبة يوم النحر.

أبى رمثة قال: انطلقت مع أبى نحو النبي ﷺ، فلما رأيته قال لأبى: ابنك هذا؟ قال أي ورب الكعبة قال: أما انه لايجنى ولا تجنى عليه ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(١).

وأخرج ابن أبى حاتم عن عطاء الخراسانى في قوله: وان تدع مثقلة إلى حملها «قول: أن تدع نفس مثقلة ذا قرابة أو غير ذى قرابة لا يحمل عنها من خطاياها شيء».

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله: وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء يكون عليه وزر لا يجد أحداً يحمل عنه من وزره شيئاً^(٢).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن مجاهد رضى الله عنه في قوله: ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء﴾ كنحو ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(٣).

وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن عكرمة قال: ان الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يارب سل هذا لم كان يغلق بابه دونى: وان الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة، فيقول له: يامؤمن ان لى عندك يدا قد عرفت كيف كانت في الدنيا وقد احتجت يدك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربه، حتى يرده إلى منزله دون منزلته وهو في النار، وان الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يابنى أى والد كنت لك فيشئ خيراً، فيقول: يابنى انى احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجوبها مما ترى، فيقول له ولده: يأبت مايسر ماطلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخوفت، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجه فيقول: يا فلانه أى زوج كنت لك فشئ خيراً فيقول لها: فانى أطلب اليك حسنة واحدة تهينها لى لعلنى أنجو

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٣٥/٢ كتاب التفسير تفسير سورة الملائكة عن ابى رمثة وقال صحيح الاسناد ولم يخرجه.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٨٤/٢٢ عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٨٤/٢٢ عن مجاهد.

بها مما ترين، قالت ما أيسر ما طلبت، ولكنى لا أطيق أن أعطي شيئاً أتخوف
مثل الذي تخوفت، يقول الله: وان تدع مثقلة إلى حملها ﴿الآية﴾ ويقول الله
﴿يوما لا يجزى والد عن ولده﴾^(١) ﴿ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه﴾^(٢)
الآية^(٣).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله
﴿وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ أي إلى ذنوبها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا
قربى، قال قرابة قريبة لا يحمل من ذنوبه شيئاً، ولا يحمل عليها غيرها من ذنوبها
شيئاً،

﴿انما تنذر الذي يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخشون النار والحساب.

وفي قوله ﴿ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه﴾ أي من عمل عملاً صالحاً
فانما يعمل لنفسه وفي قوله ﴿وما يستوى﴾ الآية قال: خلق فضل بعضه على
بعض فأما المؤمن فعبد حى الأثر حى البصر حى النية حى العمل، والكافر
عبد ميت الأثر ميت البصر ميت القلب ميت العمل^(٤).

(١) سورة لقمان من الآية: ٣٣ والآية يأيتها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد
عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور.

(٢) سورة عبس الآيات ٣٤، ٣٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٥٢/٣ عن عكرمة وقال رواه ابى حاتم رحمه الله عن أبى عبد
الزهرانى عن حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عكرمة به، وحيث لم نعث على
مراجع للرواية وثقناه عن الحافظ ابن كثير.

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٨٤/٢٢ عن قتاده موزعاً على
أربعة آثار كلها عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتاده، ولعل النقل أدمج الآثار
الأربعة.

التعقيب

هذا النموذج يتناول نصا كريما من نصوص القرآن الكريم المكية، أردنا أن يكون قسيما للنص الأول حتى يتضح المنهج الذي نعرضه، ومن خلال ماذكر من آثار ينكشف لنا أمران :

الأمر الأول :

ان المصنف — رحمه الله — أورد الآثار حول النص الكريم من لدن رسول الله (ﷺ) ومن بعده ممن حملوا دينه اليينا، دون أن يعمل رأيا أو يوجه أثرا.

الأمر الثاني :

نصت الآثار التي أورها المصنف رحمه الله — على ما يأتي :

- (أ) أنه في يوم الحساب يكون كل انسان مشغولا بنفسه، وماجنت.
- (ب) لايتحمل انسان من أوزار انسان شيئا مهما كانت قرابته، والدا كان أو ولدا أو زوجة، أو جارا.
- (جـ) النبي (ﷺ) نذير لمن خاف عذاب الآخرة حيث تكون ثمرة الانذار وأمارتهم إقامة الصلاة لله قانتين.
- (د) أن من عمل صالحا فانما يعمل لنفسه.

النموذج الثالث

في القصص القرآني

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسُوْرُوا الْمِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ، وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً، وَلِيَ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقَالَ: أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَآبٍ.﴾

الآيات — ٢٠ — ٢٥ من سورة ص

ونحيل القارى الكريم إلى مراجعة الدر المنشور ٣٠٠/٥ — ٣٠٦ حرجا من التطويل، وبتصفح الآثار الكثيرة المذكوة ايضاها للنص الكريم نرى أن عليها مأخذ كثيرة جماع القول فيها ما ذكره الحافظ ابن كثير اذ يقول:

(قد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاش عن أنس رضى الله عنه، ويزيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق، وماتضمن فهو حق^(١)).

(١) تفسير ابن كثير ٣١/٤.

وعليه فلقد أوردنا لك هذا النموذج من القصص القرآني لتبين من خلاله مأخذه بعض المفسرين بالأثر عن أهل الكتاب.

وقد ذكرنا لك سابقا أن من مصادر التفسير في عصره الأول والثاني الأخذ عن أهل الكتاب ونرى والعلم لله سبحانه وتعالى — أن القوم رضوان الله عليهم — قد قبلوا من ذلك ماجاز عندهم في حدود المسموح به ثقة منا في إيمانهم وعد التهم، وحرصهم التام على الحفاظ على قدسية النص القرآني مع عدم تحميله مالا يحتمل.

ولييان ذلك نورد لك مقالته شيخ الإسلام ابن تيمية ليكون بيانا لما كان عليه السابقون وليكون ميزانا مستقيما لللاحقين.

قال رحمه الله تعالى :

«.... ولهذا غالب ما يرويه اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعود، وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار).

رواه البخاري عن عبد الله بن عمر

ولهذا كان عبد الله بن عمر قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الأذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فانها على ثلاثة أقسام.

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.
والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.
والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل لا تؤمن به، ولا نكذب به وتجاوز حكايته لما تقدم.

وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كليهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم.

ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربي أعلم بعدتهم، ما يعلمه الا قليل، فلا تمار فيهم الا مرء ظاهرا، ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ماينبغي في مثل هذا فانه تعالى — أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته، اذ لو كان باطلا لرد كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا، قل ربي أعلم بعدتهم فانه ما يعلم بذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه، فلهذا قال: ﴿فلا تمار فيهم الا مرء ظاهرا﴾ أي لاتجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الاقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته.

فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافا في مسألة، ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، اذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكى الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا، فان صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب أو جاهلا فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقوال متعددة لفظا، ويرجع

حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبى زور والله الموفق للصواب^(١) أ.هـ.

التعليق العام

بعدما ذكرنا لك من نماذج هذا المنهج كما عرضها صاحب الدر المنثور في التفسير بالمأثور وبقراءتك لها يتضح لك خصائصه فيما يلي:
١ — أن السيوطي بهذا المنهج قد أراد — كما نعتقد — أن يذكر أقوال كل من سبقه من لدن رسول الله ﷺ وصحابته، وتابعيهم، ومن أقتفى أثرهم.

٢ — أنه ترك القول برأيه في التفسير، فلم يختار قولاً، أو يضيف من عنده جديداً.

٣ — أنه لم يذكر درجة المروى من حيث القبول وعدمه بل ترك ذلك للمفسر يختار ما يراه — باجتهاده — من خلال ضوابط أهل العلم أقرب إلى الصواب.

٤ — هذا المنهج يوقف المفسر على أقوال من سبقوه، فيعرف من تلك الآثار أقوال السلف فيقف عندها فيما لا بد من الوقوف عندها فيه كالعقائد، والأحكام الشرعية، أو يزيد في الأحكام الشرعية الفرعية ما يمكن أن يكون مبيناً لها، أو مبيناً لبعضها، مما يقتضيه البيان لربط حاضر أمته بماضيها.

٥ — يوقف المفسر على ما به تصلح أمته، وقد قيل: لاتصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ومن المعلوم بالنسبة لهذه الآثار كما ذكرنا لك سابقاً فيما يعول عليه من هذه الآثار:

(أ) أن القول المرفوع إلى رسول الله ﷺ إذا صح مقبول حتماً.

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٦٦/١٣ — ٣٦٨ — مقدمة التفسير.

- (ب) يلي ذلك قول الصحابة رضوان الله عليهم.
(ج) ثم يكون بعد ذلك ما كان مرسلًا.
(د) ثم يأتي ما كان منسوبًا للتابعين لأن هذه القرون هي خير القرون، كما ورد عن رسول الله ﷺ.
(هـ) وأما ما ورد عن أهل الكتاب فالضابط في قبوله ما ذكره شيخ الإسلام وقد نقلناه لك قريبًا.

تنبيه

ذكر السيوطي في طبقات المفسرين ٩٦ أنه قد من الله عليه بادامة مطالعة تفسير الطبري والاستفادة منه، ورجا من الله سبحانه وتعالى أن يعينه إلى اختصاره وتهذيبه ليسهل على كل أحد تناوله.

ولم نعثر في دليل مخطوطات السيوطي عن هذا الاختصار فهل اكتفى الرجل بكتابه «الدر المنثور» عن اختصار كتابي ترجمان القرآن له، وكتاب تفسير الطبري أم أن كتاب السيوطي في التفسير الموسوم بمجمع البحرين ومطلع البدرين وهو شرح التفسير المسمى تحرير الرواية وتقرير الدارية هل عناه باختصار تفسير الطبري.

الأمر يحتاج إلى كبير جهد، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفق البعض للقيام بتحقيق هذا الأمر. والله من وراء القصد.

ثانياً : التفسير بالأثر مخلوطا بالرأى

ذكرنا لك كيف وصل إلينا التفسير الآثرى، وتبين لك مما نقلناه ومن تخريجنا له مدى قوة ذلك النقل ومدى حصول الثقة — ودعانا ذلك إلى توضيح معنى سبب النزول. ومتى يكون قطعياً ومتى يكون محتملاً وفي المحتمل قلنا انه اما أن يكون: سبباً للنزول في وقت خلو القطعي والا فهو تفسير أو ايضاح أو حكم.

وبهذا قد أزلنا شكوكا وقع فيها غيرنا ويقع فيها بعض الدارسين لكتب التفسير، وربما تأثر كثيرهم من المعاصرين بأقوال المستشرقين.

ونسوا حين تأثرهم أنه اذا استفدنا فائدة من المستشرقين فاننا نخسر في مقابلها مخاسر جمة وأبرز هذه المخاسر:

١ — التجنى على المسلمين بالطعن في روايات الرواة يسلمنا — ان سلمنا به — إلى الطعن في كل ما هو مروى لنا. وهذا خطورته لا يغفل عنها ذو بصر وان ضعف.

٢ — تمكين المستشرقين من أن ينفثوا سمومهم إلى المسلمين في أقدس ما عندهم حتى تنحل الرابطة بينهم وبين ما عندهم من مقدسات ولا تظن أن هؤلاء المستشرقين وصل بهم النقاء النفسى لدرجة الاعتدال.

٣ — الثقة بالمستشرق مع تقويتها من الراوى المسلم. منزلق يهوى بالمسلمين فيجرهم نحو البوار.

٤ — التعلق بالمنهج العلمى — المزعوم — في العصر الحديث تعلق الفريق بالقشة فالذي يعرف مناهج الأقدمين المسلمين يسلم — لامحالة — بصواب منهجهم العلمى اليقينى عن مناهج هؤلاء المستشرقين.

٥ - الآخذ عن المستشرقين فيما يتعلق بما روى من مقدساتنا كمن يتعلم الفصحى عن الأعجمى الذي لا يعرف إلا بعض كلمات يتعامل بها في بعض شؤون الحياة. ومن المؤسف أن يدفعنا هؤلاء ومن في نفسه مرض إلى فقد الثقة بعلمائنا الاجلاء فترميهم بما ليس فيهم. ولقد كتب بعض الدارسين المسلمين كلاما حول المرويات اذ يقول: (... والمتبادر أنه لما كان عهد التدوين الذي راجت فيه الروايات تلقف المدونون من الأفواه الغث والثمين، والصحيح والفاسد، والمعقول وغير المعقول والملفك والمنحول والمحرف فدونه وتناقلوه، وجعله المفسرون القديمون من عمد تفسيرهم، بل كان وظل الركن الأقوى والأوسع في التفسير.

فكان هذا التساهل من جانب المدونين أولاً والمفسرين المنفذين ثانياً باعثاً على تسلسل الدور وانتقال الروايات من عهد إلى عهد دون تحفظ أو تمحيص الا قليلا حتى صارت كأنها قضايا مسلمة أو نصوص نقلية يجب الوقوف عندها والتقيد بها. أو التوفيق بينها.

وادي هذا إلى الوقوع في أخطاء وتشويشات ومفارقات كثيرة^(١).

وإذا رجعنا إلى ما كتبت في هذا البحث قبل هذا ترى أننا نقلنا لك عن علمائنا ما يؤكد الثقة بنقولهم من غربلتهم للرواية، وتشددهم في قبولها. متنا وسندا.

مما يجعل الباحث المسلم على طمأنينه مطلقة فيما ينقل عنهم وخاصة اذا عرفنا صفات هؤلاء الرواة وهؤلاء المفسرين القدامى من صدقهم وعدالتهم وحرصهم على نقاء دينهم بدءاً من نشأتهم إلى منتهى حياتهم.

وقريب منك في هذا البحث ماوضحناه لك مما يقوله أهل القرآن من المسلمين في أسباب النزول ومايعتمد عليه فيها، وموقف المفسر من تعدد الروايات في سبب نزول الآية الواحدة ومن أدرك ذلك مايجد ألبتة تضاربا بين سببين من أسباب النزول لآية واحدة، فلقد تعدد الطرق فاذا اتحدت

(١) القرآن المجيد محمد دروزة ص ٢١٨.

في الصيغة فهي مقوية والا فهي من النوع الثاني الذي حدثناك عنه وهو الاحتمال أو التفسير والبيان أو بيان الحكم. من خلال عرضنا لمنهج التفسير بالأثر المجرد. وأيضا ماسيتضح أمامك من خلال عرضنا للتفسير الأثرى المخلوط بالرأى — على أننا سنضع أمامك في عرض هذا النوع من التفسير ما يجعلك على ثقة منه — على أنه ينبغي التنبيه إلى أمر هام وهو أنه لم يصل إلينا تفسير^(١). كامل ومكتوب ومدون ومتناقل وموثوق بسنده إلى صاحبه قبل تفسير الامام الطبرى الموسوم بجامع البيان في تفسير القرآن وهذا التفسير يمثل النوع الثاني من مناهج المفسرين وهو التفسير بالأثر المخلوط بالرأى.

وسنبداً في عرضنا لهذا المنهج بهذا التفسير المبارك.

وليكن على ذكر منك أننا أشرنا إليك سابقا أن بعض هذا المأثور في التفسير تلقى عن رسول الله ﷺ. وبعضه عن الصحابة الذين قدر الله أن يكونوا حملة هذا الدين إلى من بعدهم.

وبناء على ذلك فاننا نكاد نجزم أن الحلقة المقدسة في مروياتنا المأثورة لم تنقسم في مرحلة من المراحل حسب ما نعتقد بناء على ما مقدمنا لك مما نؤمن به عن علمائنا — اللهم الا أن يكون شيئا في بعض النفوس من الدارسين — وهذا حفظنا الله وله الحمد على ذلك — منه وينبغي أن ننبه القارئ الكريم إلى ان ابن جرير لم يكن الرائد في هذا اللون من التفسير. بل سبقته إلى ذلك مدرستان أولهما مدرسة ابن عباس في مكة المكرمة ومن هو ابن عباس في علمه وورعه.

(١) يوجد تفسير للإمام يحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠ هـ، لكنه لا توجد منه نسخة كاملة في مدى علمنا، كما أنه ليس من عرضنا عرض كل أصحاب التفاسير، فلا يلزمنا أن نعرض له، لكننا للافادة سنحدثك عنه بعد ذكر ماسنذكره من أصحاب هذا المنهج أيضا للفائدة وتأكيداً لاتصال حلقة التفسير التي ظهرت خلال عرضنا لكتابنا.

والثانية مدرسة ابن مسعود بالكوفة ولا يوجد من المسلمين من يجهل قدر ابن مسعود وعلى هذا الهدى كان مسار أصحاب التفسير بالأثر المخلوط بالرأى. الذي حرص ابن جرير على أن ينقله. إلى الأمة كاملا يستوعبه الحاضر والقادم فلقد أودع كتابه العظيم عند عرضه للآية القرآنية الدلالة اللغوية مستشهدا عليها بفصيح تنوّل عن فصحاء — ثم يتوج ذلك بما أثر عن سلفه من المسلمين في توضيح الآية.

من لدن رسول الله ﷺ حسب ما بيناه لك سابقا، كما يفعل ذلك أيضا في الأحكام الشرعية، ويفعله في القراءات القرآنية.

وهاك آياه ومنهجه من خلال النماذج التي سنعرضها عليك من كتابه.

جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري

التعريف بصاحب الكتاب :

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري أبو جعفر الامام العالم الحافظ أحد الأعلام وصاحب التصانيف القيمة.

مولده:

كان مولده في أواخر عام ٢٢٤ هـ — وقيل في مفتح عام ٢٢٥ بآمل عاصمة اقليم طبرستان، ولعل هذه التسمية أطلقت من خلال طبيعة المناخ لأن هذا الاقليم جبلي مشبع، سكانه أهل حرب، وأكثر أسلحتهم الأبطال.

نشأته وثقافته:

ان في حياة الاعلام مايؤكد بحق نظرية الاسلام في الأخلاق الفعلية. وقيمة الانسان تتمثل في مقدار ارتباطه بدينه، والقيمة التي يحرص الاسلام على تحقيقها في نفوس المؤمنين به ليست ضربا من الكلمات الجوفاء والعبارات المصطنعة ولكنها عبارة عن فعل يعقبه قول، أو قول يعقبه فعل ماينطق به الانسان المؤمن بهذا الدين السامي وهذه هي الركيزة الأولى لبيان قيمة الفرد الذي تحقق على يديه هداية الناس وعليه هو مصدر قيمته وسموه.

ولقد كان الطبري منذ نعومة أظفاره يهيأ لهذه المهمة الخطيرة، فسوف يقترن اسمه بأسمى قيمة — القرآن العظيم.

لقد قال عن نفسه : (رأى لى أبى في النوم أنى بين يدي رسول الله ﷺ) ومعنى مخلاة مملوءة بالأحجار، وأنا أرمى بين يديه.

وقص رؤياه على المعبر فقال له: ان ابنك ان كبر نصح في دينه، وذبح عن شريعته فحرص أبى على معونتي على طلب العلم، وأنا حينئذ صبي صغير).

ولعلك معى أن هذا كان بمثابة التوجيه إلى العناية بهذا الناشئ وما أعظم عنايته سبحانه وتعالى — بمن سيقومون بتوجيه الناس وخاصة في أمور دينهم.

ويتضح ذلك جليا فيما يرسمه لنا الطبرى عن خطوط نشأته الدينيه اذ يقول : (حفظت القرآن ولى سبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين وكنت الحديث وأنا في التاسعة) وينعكس ذلك على حياته كلها، فنراه كان آية في قراءة القرآن الكريم حفظا وتجويدا وتأثيرا حتى هفا إليه القريب والبعيد، من حفظ، ومن لم يحفظ ليصلوا خلفه، ويستمعون لقراءته وتجويده.

يقول على الطومارى: (كنت أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدي أبو بكر بن مجاهد لصلاة التراويح، فخرج ليلة من ليالى العشر الأواخر من داره، ومررنا على مسجده في جنازه ولم يدخله وسار حتى وقف على باب مسجد الطبرى، وكان الطبرى يقرأ سورة الرحمن فاستمع لقراءته طويلا ثم انصرف فقلت له: يا أستاذ تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا، قال: يا أبا على دع عنك مما ظننت، ان الله خلق بشرا يحسن أن يقرأ هذه القراءة).

ولقد كان الطبرى رحمه الله نموذجا لتطبيق تعاليم الاسلام الدينيه، والأخلاقه، والاجتماعية فهو شديد التوحي والحذر مما ينافى التدين والورع، وكان على قسط كبير من النزاهة يقول ابن كامل: (مارأيت أظرف أكلا من أبى جعفر كان يدخل يده في الغضارة — القصعة الكبيرة — فيأخذ منها لقمة، فاذا عاد يأخذ كسح باللقمة الماطخ من الغضارة باللقمة الأولى فكان لا يلطخ من الغضارة الا جانبا واحداً.

وكان اذا تناول اللقمة ليأكل سمى، ووضع يده اليسرى على لحيته، ليقبها من الزهومة رائحة السمن — فاذا جعلت اللقمة في فمه أزال يده.

وكان اذا جلس لا يكاد يسمع له تتخم ولا تبصق، ولا ترى له نخامة،
واذا أراد أن يمسح ريقه أخذ ذؤابة منديلة يمسح بجانب فمه.

من خلال ما ذكر عن سيرته كان يوقن أن العلم سلوك يوضح ذلك بالقول
والفعل معا ويظهر ذلك جليا في كتابه (أداب النفوس) حيث حشد فيه من
المسالك الفعلية ما يعطى صورة صادقة عما ذكرنا..

ويرى ذلك واضحا جليا في تصرفاته مع العلماء الذين يناقشهم فيتفق
معهم أو يختلف فهو عف المناقشة عف الغيبة محبا الخير للناس جميعا
متمنيا لهم التوفيق من خالفه ومن أيده على حد سواء.

ولقد كان عزوفا عن المال وحب الدنيا، ولا يبيع دينه بدنياه مهما كان
الثمن عزيز النفس وكان يعف تماما عن المكافأة اذا كانت عن عمل ديني،
فهو يرى أن التأليف الديني زكاة علمية عليه.

قال أبو محمد الفرغاني : (كان ابن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة
لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى، والشناعات من جاهل وحاسد، وملحد.

فأما أهل العلم والدين فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها،
وقناعته باليسير «سمع من أحمد بن منيع وأبي كريب، وهند بن السرى،
يونس بن عبد الأعلى وخلائق وروى عنه الطبراني وأحمد وطائفة.

وأما عن مذهبه فيقول السيوطي : (وكان أولا شافعيًا ثم انفرد بمذهب
مستقل وأقاويل واختيارات وله أتباع ومقلدون) ولكن أتباعه انقرضوا.

ويحدثنا الخطيب البغدادي عن احاطته بضروب المعرفة: (كان أحد
ائمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفة وفصله، وكان قد جمع من
العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله عارفا
بالقراءات بصير بالمعاني فقيها بأحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها
وصحيحها، وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين،
ومن بعدهم من المخالطين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام عارفا بأيام
الناس، وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في (تاريخ الأمم والملوك) وكتاب

(التفسير) الذي لم يصنف أحد مثله، وكتاب (تهذيب الآثار) لم أر سواه في معناه الا أنه لم يتمه، وكتاب حسن في القراءات سماه (الجامع) وله في أصول الفقة وفروعه كتب كبيره واختيار من أقاويل الفقهاء وانفرد بمسائل حفظت عنه ...

ويقول: (وسمعت علي بن عبد الله بن الغفار اللغوي يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين وريقة).

وقال ابن خزيمة : (ما أعلم على أديم الأرض أعلم منه).

وفاته :

توفي سنة ٣١٠ هـ ببغداد^(١).

رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له العطاء من خلال ما قدم من قول وفعل لهداية بني الانسان.

(١) انظر ذلك مع زيادات في:

البداية والنهاية ١٤٥/١١	تاريخ بغداد ١٦٢/٢.
تذكر الحفاظ ٧١٠/٢	تهذيب الاسماء واللغات ٧٨/١.
شذرات الذهب ٢٦٠/٢	طبقات الشافعية للسبكي ١٢٠/٣.
طبقات القراء لابن الجزري ١٠٦/٢	ميزان الاعتدال ٤٩٨/٣.
وفيات الاعيان ٣٣٣/٣	طبقات الحفاظ ص ٣٠٧ — ٣٠٨.
طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٥ — ٩٧	طبقات المفسرين للداودي
١١٤ — ١٠٦/٢.	

جامع البيان في تفسير القرآن ومنهج مؤلفه فيه

التعريف به :

يكاد الاجماع ينعقد ممن يعتد بهم من العلماء أن جامع البيان في تفسير القرآن من المؤلفات النادرة الجامعة لمن سبقها من العصور، فتعطي صورة واضحة لما كان عليه التفسير منذ العصر الأول حتى مطلع القرن الرابع مؤكدا قيمة التفسير بالمأثور ومدى الحرص عليه، وان كان في الوقت نفسه من المراجع ذات الأهمية للتفسير العقلي فلقد جمع بين الآراء واعتمد مأرتاة صحيحا من وجهه نظره، وزاد استنتاج الأحكام، فهو جامع بين النقل والعقل.

ويقع جامع البيان في تفسير القرآن في ثلاثين جزءا من الحجم الكبير ولم يقدر الله سبحانه وتعالى له — الظهور والتداول الا من عهد قريب حيث وجدت نسخة مخطوطة في حيازه أمير منطقة حائل الأمير حمود بن الأمير عبد الرشيد من أمراء نجد طبع عليها الكتاب الذي بين أيدينا الآن^(١).

ويحكى الطبرى فيقول: (استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على مانويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانى

وروى القاضى أبو عبد الله بن سلامة (... أن أبا جعفر قال لأصحابه: أتنتشطون لتفسير القرآن؟ قالوا كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، قالوا: هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه، فأختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة)^(٢).

(١) انظر المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ص ٨٦، والتفسير والمفسرون ٢٠٧/١ — ٢٠٨.

(٢) طبقات المفسرين للدأوى ١١٣/٢.

شهادة العلماء له :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: (تفسير محمد بن جرير الطبري هو من أجل التفسير وأعظمها قدراً)^(١).

وقال حين سئل: أي التفسير أقرب إلى الكتاب والسنة ...

أما التفسير التي في ايدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فانه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين)^(٢).

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني في تاريخه^(٣). (فسم — يعني محمد بن جرير كتاب تفسير القرآن وجوده وبين فيه أحكامه وناسخه ومنسوخه ومشكله وغريبه ومعانيه واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله والصحيح لديه من ذلك واعراب حروفه، والكلام على الملحدين فيه والقصص وأخبار الأمة، والقيامة، وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب كلمة كلمة، وآية آية من الاستعاذه وإلى أبي جاد.

فلو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوى على علم مفرد عجيب مستقصى لفعل)^(٤).

وقال ابن خزيمة: قد نظرت فيه — يعني تفسير ابن جرير — من أوله إلى آخره، وما أعلم على اديم الأرض أعلم من محمد بن جرير)^(٥).

وقال : (نولوكا) في سنة ١٨٦٠م لو كان بيدنا هذا الكتاب — يعني تفسير ابن جرير — لا استغنيا به عن كل التفسير المتأخرة.

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٦١/١٣ مقدمة التفسير.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٨٥/١٣ مقدمة التفسير.

(٣، ٤) وهو معروف بكتاب الصلة وهو كتاب وصل به تاريخ ابن جرير طبقات المفسرين الداودي ١١١/٢.

(٥) طبقات المفسرين للداودي ١١١/٢.

ومع الأسف فقد كان يظهر أنه مفقود تماماً. وكان مثل «التاريخ الكبير» مرجعاً لا يفيض معينة أخذ عنه المتأخرون معارفهم^(١).

وقال السيوطي: (وله التفاسير العظيمة منها تفسير القرآن وهو من أجل التفاسير لم يؤلف مثله كما ذكر العلماء قاطبة منهم النووي في تهذيبه وذلك لأنه جمع فيه بين الرواية والدراية ولم يشاركه في ذلك أحد لاقبله ولا بعده ...

ويقول قلت: قد من الله على بادامة مطالعته والاستفادة منه وأرجوا أن أصرف العناية إلى اختصاره وتهذيبه ليسهل على كل أحد تناوله أن شاء الله تعالى^(٢).

منهجه في تأليفه :

يحدد الامام الطبري منذ البداية الأولى لدخوله في كتابه منهجه مؤكداً مدى حرصه على ايداع كتابه التراث التفسيري العظيم — حيث كانت الحاجة ماسة إليه في وقته وأنت خبير أنه بعد مرور عشرة قرون من الزمان ونحن ننظر فيه وحاجتنا إليه أمس — ذلك أنه ينبه إلى الاختلاف — ان كان — وإلى الاجماع ان وجد والى رأيه هو بعد ذلك.

وندع الامام الطبري يحدثنا عن منهجه وعن غايته وعن جهده فيه فيقول:

(... أعلموا عباد الله — رحمكم الله — أن أحق ما صرفت إلى عمله العناية، وبلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأنا اجمع ذلك لغاية كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مزية به الفائز بعجزيل الذكر، وسنا الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانية منشئون ان شاء الله ذلك كتابا مستوعبا لكل ما بالناس إليه حاجة من علمه جامعاً، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافياً، وتحبرون

(١) التفسير والمفسرون ٢٠٩/١ — المذاهب الاسلامية في التفسير ٨٥.

(٢) طبقات المفسرين للسيوطي ٥٦.

في كل ذلك بما انتهى إلينا من انفاق الحجة فيما اتفقت عليه الأمة واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينوا علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحوا الصحيح لدينا من ذلك بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه.

والله نسأل عونته وتوفيقه لما يقرب من مجابهة ويعد من مساخطة وصلى الله على صفوته من خلقة وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً^(١).

وهذا النص يوضح لنا غاية الطبرى من الاقدام على تفسير القرآن الكريم، وما سيجرص عليه فيه ثم يبين أن هذه الغاية لأبد لها من وسيلة منها: العلوم العربية ومعرفة مناحى العرب في القول فيعقد لذلك فصلاً ويسميه :

(القول في البيان عن اتفاق معاني آى القرآن، ومعانى منطق من نزل بلسانه من وجه البيان والدلالة على أن ذلك من الله جل وعز هو الحكمة البالغة مع الابانة عن فضل المعاني الذي به باين القرآن سائر الكلام)^(٢).

وبعد اثباته عربية القرآن يوجز ما فصله فيقول: (قد قلنا في الدلالة على أن القرآن كله عربى وأنه نزل باللسن بعض العرب دون ألسن جميعها. وأن قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي هي بين أظهرهم ببعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها.

وقلنا في البيان عما يحويه القرآن من النور والبرهان والحكمة والبيان التي أودعها الله إياه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه، ووعدده ووعدده، ومحكمته ومتشابهه، ولطائف حكمة ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه)^(٣).

ثم يعلن عن خطته المسلوكة في جامع البيان في تفسير القرآن في فصل بعنوان: (القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن)^(٤).

(١) تفسير الطبرى ٤٠٣/١.

(٢) تفسير الطبرى ٤/١.

(٣) تفسير الطبرى ٢٥/١.

(٤) تفسير الطبرى ٢٥/١.

ولقد قسم فيه آيات القرآن الكريم إلى أقسام ثلاثة استخلصها من آيات القرآن ليكون سيره على منوالها :

- القسم الأول : ما استأثر الله فيه بعلم مافي النص من المعاني مفصلاً.
القسم الثاني : ما يرجع فيه إلى الرسول (ﷺ) بحق أنه أمين الله — سبحانه وتعالى — على وحيه.
القسم الثالث : ماهو مباح لكل أحد له ثقافة لغوية تفسيرية.

وندع الطبرى رحمه الله — يوضح لنا خطته ليتبين لنا فكره التفسيري من خلال عرضه لأن صاحب الفكرة هو أخبر الناس بعرضها فنراه يقول :
ونحن قائلون في البيان عن وجوه مطالب تأويله :

قال الله جل ذكره وتقدسست أسمائه لنبيه محمد (ﷺ) : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾.

وقال جل ذكره: ما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.

وقال: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا ألو الالباب﴾ فقد تبين بيان الله جل ذكره.

(أ) ان مما أنزل الله من القرآن على نبيه مالا يوصل إلى علم تأويله الا بيان الرسول (ﷺ) وذلك تأويل جميع مافيه من وجوه أمره وواجبه ومندوبه وارشاده وصنوف نهيه ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ومأشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك الا بيان رسوله (ﷺ) لأمته.

وهذا وجه لايجوز لأحد القول فيه الا بيان رسول الله (ﷺ) له بتأويله بنص منه عليه أو بدلاله قد نصبها دالة أمته على تأويله.

(ب) وأن منه مالا يعلم تأويله الا الله الواحد القهار وذلك مافيه من الخبر عن آجال حادثة وأوقات آتية كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور ونزول عيسى ابن مريم وما أشبه ذلك.

فان تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد تأويلها الا الخبير بأشراتها لاستثثار الله بعلم ذلك على خلقه.

وكذلك أنزل ربنا في محكم كتابه فقال: يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتىكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون).

وكان نبينا ﷺ اذا ذكر شيئا من ذلك لم يدل عليه الا بأشراته دون تحديده بوقت كالذي روى عنه (ﷺ) أنه قال لأصحابه: اذا ذكر الدجال: ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، وان يخرج بعدى فالله خليفتي عليكم.

وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعابها الكتاب الدالة على أنه ﷺ لم يكن عنده علم بأوقات شيء منه بمقادير السنين والأيام وأن الله جل ثناؤه انما كان عرفة مجيئه بأشراته ووقته بأدلتها.

(ج) وان منه مايعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن، وذلك اقامة اعرابه ومعرفته المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها والمواصفات بصفات الخاصة دون ماسواها، فان ذلك لايجهله أحد منهم.

وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلوه ﴿واذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون، ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون﴾.

لم يجهل أن معنى الافساد هو ماينبغي تركه مما هو مضرة. وأن الإصلاح هو ماينبغي فعله مما فعله منفعة.

وان جهله المعانى التي جعلها الله افساداً، والمعاني التي جعلها الله اصلاحاً فالذى يعلمه ذوو اللسان الذي بلسانه نزل القرآن عن تأويل القرآن هو ماوصفت من معرفته أعيان المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتهما الخاصة دون الواجب من أحكامها وصفاتها، وهياتها التي خص الله بعلمها نبيه (ﷺ) فلا يدرك علمها الا ببيانه وممن استأثر الله بعلمه دون خلقه ويمثل ماقلنا من ذلك روى الخبر عن ابن عباس ...

عن أبي الزناد قال: قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لايعلمه الا الله.

قال أبو جعفر، وهذا الوجه الرابع الذي ذكره ابن عباس من أن أحدا لايعذر بجهالته معنى غير الابانه عن وجوه مطالب تأويله، وانما هو خبر عن أن من تأويله مالا يجوز لأحد الجهل به.

وقد روى بنحو ماقلنا في ذلك أيضاً عن رسول الله (ﷺ) قال:

نزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لايعذر أحد بالجهالة، وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب^(١).

وبعد أن اتضح فكر الطبرى عن خطته من خلال هذا الايضاح لموقفه من آيات الذكر الحكيم ففراه يجنح إلى بيان التيارات الفكرية ممثلة في تيار قوى تتحكم فيه النزعات العقلية التي أتاحت لنفسها تفسير النص القرآنى وفق الهوى العقلى أو المبدأ الفكرى للمذهب الذي تدين له. كما هو الحال عند المعتزلة والشيعة وبعض الفرق الأخرى.

فيحشد أماننا النصوص النقلية للنهى عن التفسير بالرأى في فصل

(١) تفسير الطبرى ٢٥/١ — ٢٦.

تحت عنوان (ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأى)^(١).

وبعد ايراد الأدلة يعقب الطبرى فيقول :
(وهذه الأخبار شاهد لنا على صحة ماقلنا من أن ماكان من تأويل أي القرآن الذي لايدرك علمه الا بنص بيان رسول الله ﷺ) أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القول فيه برأيه بل القائل في ذلك برأيه وان أصاب الحق فيه فمخطيء)^(٢).

ويعد بيانه لموقفه من التفسير بالرأى ينتقل إلى من يرغب في التفسير مؤكدا قيمته ذاكرا أعلامه المشهود لهم بالعلم والفضل، فيفرد لذلك فصلا بعنوان (ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة)^(٣).

وبعد ذكره الأخبار التي تحض على التفسير يسوق الطبرى آيات قرآنية لتقوية تلك الأخبار فيكون من الخبر والنص القرآنى الدليل القوى على ماذهب اليه في خطته.

وبعد فلقد عرضت لك منهج الطبرى في تفسيره كما عرضه هو، وكما فصلناه لك عنه، وسنعرض عليك نماذج من تفسيره تبين لك أمرين:

أولهما: انها تبين لك بالمثال التطبيقى المنهج الذي عرضناه لك.
ثانيهما: انك تستطيع أن تميز الفرق بين هذا المنهج والمنهج الذي سبقه وهذا هو مادعانا إلى توحيد النماذج في منهجى التفسير بالمأثور الصرف والمأثور المخلوط بالرأى.

(١) تفسير الطبرى ٢٦/١ — ٢٧.

(٢) انظر تفسير الطبرى ٢٧/١.

(٣) انظر تفسير الطبرى ٢٧/١.

نماذج من هذا التفسير ودراستها

سيكون منهجنا بعون الله تعالى — في عرض النماذج أن ننقل لك النموذج من الكتاب ذاكرين ترجمة للذين روى عنهم من المحدثين، عدا ماخرجناه من منهج التفسير المأثور، ثم نبين مدى انطباق منهجه من خلال ماسار عليه.

النموذج الأول :

في الاحكام

قال تعالى : ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ .
الآية ١٥٨ — سورة البقرة

قال في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٦/٢ — ٣٢ مانصه (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾) والصفاء جمع صفاة وهي الصخرة الملساء، ومنه قول الطرماح:

أبي لى ذو القوى والطول الا يونس حافر أيدي صفاتي
وقد قالوا ان «الصفاء» واحد وأنه يشي صفوان، ويجمع أصفاء، وصفيا
واستشهدوا على ذلك بقول الراجز:
كأن متنية من النفس مواقع الطير على الصفى

وقالوا هو نظير عصا وعصى، ورحى ورحى، وأرجاء.
وأما المروة فانها الحصاة الصغيرة يجمع قليلها مروات وكثيرها المرو مثل
ثمرة، وثمرات وثمر، قال الأعشى ميمون بن قيس:

وترى بالأرض خفا زائلا فاذا ماصادف المرو رضح

يعنى بالمرو الصخر الصغار، ومن ذلك قول أبي ذؤيب والهدلى.

حتى كائى للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تفرع
ويقال المشعر

وانما عنى الله — تعالى ذكره — بقوله ﴿ان الصفا والمروة﴾ فى هذا
الموضع الجبلين المسمين بهذين الاسمين اللذين فى حرمه دون سائر
الصفا والمروة ولذلك أدخل فىهما الألف واللام ليعلم عباده أنه عنى بذلك
الجبلين المعروفين بهذين الاسمين دون سائر الصفا والمروة.

وأما قوله ﴿من شعائر الله﴾ فإنه يعنى من معالم الله التى جعلها — تعالى
ذكره — لعباده معلما ومشعرا يعبدونه عندها اما بالدعاء، واما بالذكر واما
بأداء ما فرض عليهم من العمل عندها، ومنه قول الكميت.

تقلتهم جيلا فجيلا تراهم شعائر قربان بهم يتقرب

وكان مجاهد^(١) يقول فى الشعائر بما حدثنى به محمد بن عمرو^(٢) وقال
ثنا أبو عاصم^(٣) عن عيسى^(٤) عن ابن أبى نجيح^(٥) عن مجاهد: ﴿ان الصفا
والمروة من شعائر الله﴾ قال : (من الخير الذى أخبركم عنه).

(١) هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكى المخزومى عرض القرآن على ابن عباس
ثلاثين مرة توفى سنة ١٠٠ هـ وقبل ١٠٤ هـ — انظر تذكرة الحفاظ ٩٢/١
وتهذيب التهذيب ٤٢/١٠ وطبقات المفسرين الدودى ٣٠٥/٢، ميزان الاعتدال
٤٣٩/٣.

(٢) هو الحافظ الثقة محمد بن عمرو الموجه الفزارى اللغوى المروزى توفى سنة ٢٨٢
بمرو أنظر تذكرة الحفاظ ٦١٥/٢، وطبقات الحفاظ ٢٧٠.

(٣) هو أبو عاصم الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيبانى البصرى النبيل الحافظ كان
فقيها حافظا عابدا ثقة توفى سنة ٢١٢ هـ. انظر تذكرة الحفاظ ٣٦٦/١ طبقات
الحفاظ ١٥٦.

(٤) هو عيسى بن يونس بن أبى اسحاق السيعى الكوفى روى عنه حماد بن سلمه، وابن
المدين، وابن معين توفى ١٨١ هـ. انظر تذكرة الحفاظ ٢٧٩/١ طبقات الحفاظ
١١٨.

(٥) هو عبد الله ابن أبى نجيح يسار المكى أبو بشار الثقفى ثقة توفى ١٣١ هـ انظر
تهذيب الذيب ٤٥٦/١ وطبقات الحفاظ ٤٣، ١١٠.

حدثني المشي^(١) قال ثنا أبو حذيفة^(٢) قال : ثنا شبل^(٣) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله.

فكان مجاهداً كان يرى أن الشعائر إنما هو جمع شعيره من شعار الله عبادة أمر الصفا والمروة وما عليهم في الطواف بهما، فعناه اعلامهم ذلك. وذلك تأويل من المفهوم بعيد.

وإنما أعلم الله — تعالى ذكره — بقوله ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ عبادة المؤمنين أن السعي بينهما من شعائر الحج التي سنّها لهم وأمر بها خليله إبراهيم عليه السلام، إذ سأله أن يريه مناسك الحج وذلك وإن كان مخرجه مخرج الخبر فإنه مراد به الأمر لأن الله — تعالى ذكره — قد أمر نبيه محمداً عليه السلام باتباع ملة إبراهيم عليه السلام فقال له: ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وجعل تعالى ذكره — إبراهيم اماماً لمن بعده.

فاذا كان صحيحاً أن الطواف والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الله، ومن مناسك الحج فمعلوم أن إبراهيم عليه السلام قد عمل به، وسنه لمن بعده، وقد أمر نبينا عليه السلام وأمته باتباعه فعليهم العمل بذلك على ما بينه رسول الله عليه السلام.

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾.
يعنى — تعالى ذكره — فمن حج البيت فمن أتاه عائداً إليه بعد بدء، وكذلك كل من أكثر الاختلاف إلى شيء فهو حاج إليه، ومنه قول الشاعر:
وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا

(١) هو المشي بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري توفي سنة ٢٥٠ هـ — تذكرة

الحفاظ ٣٧١/١، وتاريخ التراث ١٦٧/١.

(٢) أبو حذيفة له ترجمة في تقريب التهذيب ١٥٦/١.

(٣) شبل أنظر تاريخ التراث العربي ٨٢/١ وتقريب التهذيب ٣٤٦/١.

يعنى بقوله يحجون يكثررون التردد إليه، لسؤدده ورياسته.

وانما قيل للحاج حاج لأنه يأتي البيت قبل التعريف، ثم يعود إليه لطواف يوم النحر بعد التعريف، ثم ينصرف عنه إلى منى ثم يعود إليه لطواف الصدر، فلتكرار العود إليه مرة بعد أخرى قيل له حاج.

وأما المعتمر فانما قيل له معتمر لأنه اذا طاف به انصرف عنه بعد زيارته اياه وانما يعنى تعالى ذكره — بقوله ﴿أو اعتمر﴾ أو اعتمر البيت ويعنى بالاعتمار الزيارة، فكل قاصد لشيء فهو له معتمر ومنه قول العجاج.

لقد سما ابن معمر حين اعتمر مغزى بعيدا من بعيد وضبر
يعنى بقوله حين اعتمر حين قصدة وأمه.

القول في تأويل قوله تعالى: فلا جناح عليه أن يطوف بهما.

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ يقول : فلا حرج عليه ولا أثم في طوافه بهما.

فأن قال قائل: وماوجه هذا الكلام وقد قلت لنا: ان قوله : ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ وان ظاهره ظاهر الخبر فانه في معنى الأمر بالطواف بهما فكيف يكون أمرا بالطواف ثم يقول «لا جناح على من حج البيت أو اعتمر في الطواف بهما وانما يوضع الجناح عن من أتى ماعليه بآبائته الجناح والحرج، والأمر بالطواف بهما والترخيص في الطواف بهما غير جائزا اجتماعهما في حال واحدة.

قيل : ان ذلك بخلاف ماله ذهب.

وانما معنى ذلك عند أقوام أن النبي (ﷺ) لما اعتمر عمرة القضية تخوف أقوام كانوا يطوفون بهما في الجاهلية قبل الاسلام لصنمين كانا عليهما تعظيما منهم لهما فقالوا:

وكيف نطوف بهما وقد علمنا أن تعظيم الاصنام وجميع ماكان يعبد من ذلك من دون الله شرك، ففي طوافنا بهذين الحجرين أحد ذلك، لأن الطواف

بهما في الجاهلية انما كان للصنمين اللذين كانا عليهما، وقد جاء الله بالاسلام اليوم ولاسبيل إلى تعظيم شيء مع الله بمعنى العبادة له فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك من أمرهم: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يعني أن الطواف بهما، فترك ذكر الطواف بهما اكتفاء بذكرهما عنه، وإن كان معلوما عن المخاطبين به أن معناه: من معالم الله التي جعلها علما لعبادة يعبدونه عندهما بالطواف بينهما، ويذكرونه عليها وعندهما بما هو له أهل من الذكر.

فمن حج البيت أو اعتمر فلا يتخوفن الطواف بهما من أجل ما كان أهل الجاهلية يطوفون بهما من أجل الصنمين اللذين كانا عليهما، فإن أهل الشرك كانوا يطوفون بهما كفرا وأنتم تطوفون بهما ايمانا وتصديقا لرسلى وطاعة لأمرى فلا جناح عليكم في الطواف بهما والجناح الأثم كما حدثنى موسى^(١) بن هارون قال: ثنا عمرو^(٢) قال: ثنا: أسباط^(٣) عن السدى^(٤) فلا جناح عليه أن يطوف بهما يقول ليس عليه اثم ولكن له اجر وبمثل الذي قلنا في ذلك تظاهرت الروايات عن السلف من الصحابة والتابعين.

ذكر الأخبار التي رويت بذلك :

حدثنا محمد^(٥) بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ثنا يزيد^(٦) بن زريع

(١) هو موسى بن هارون بن مروان الحافظ الامام الحجة أبو عمران بن المحدث أبى موسى الحماد. البغدادى محدث أهل العراق وهو ثقة حافظ توفى سنة ٢٩٤ انظر طبقات الحفاظ ٢٩٢.

(٢) هو عمرو بن عثمان بن سعيد الحمصى ثقة حافظ توفى سنة ٢٥٠ انظر طبقات الحفاظ.

(٣) انظر طبقات الحفاظ ٢٢١.

(٤) انظر طبقات الحفاظ ٢٢.

(٥) هو محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب الأموى صدوق من كبار العاشرة توفى سنة ١٤٤ هـ تقريب التهذيب ١٨٦/٢.

(٦) هو يزيد بن زريع العبشى أبو معاوية البصرى ثبت ثقة حجة كثير الحديث توفى ١٨٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١٦٢.

قال: ثنا داؤد^(١) عن الشعبي^(٢) أن وثنا كان في الجاهلية على الصفا يسمى ايساف ووثنا على المروة يسمى نائلة وكان أهل الجاهلية اذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين فلما جاء الاسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون: ان الصفا والمروة انما كان يطاف بهما من أجل الوثنيين، وليس الطواف بهما من الشعائر قال: فأنزل الله أنهما من الشعائر فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما.

حدثنا محمد^(٣) بن المثنى قال: ثنا عبد الوهاب^(٤) قال: ثنا داؤد عن عامر قال: كان صنم بالصفا يدعى ايساف، ووثن بالمروة يدعى نائلة ثم ذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب وزاد فيه فذكر الصفا من أجل الوثن الذي كان عليه وأنت المروة من أجل الوثن الذي كان عليه مؤثنا.

حدثني يعقوب^(٥) بن ابراهيم قال: ثنا بن عليه^(٦) عن داؤد ابن أبي هند عن الشعبي وذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب عن يزيد وزاد فيه قال: فجعله الله تطوع خير.

(١) هو داود بن أبي هند القشيري البصري حافظ ثقة جيد الاسانيد رفيع القدر توفي سنة ١٤٠ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/١٤٦.

(٢) الشعبي هو عامر بن شرحبيل أبو عمر الكوفي ادرك خمسمائة من الصحابة كان عالما جليل القدر حافظا توفي سنة ١٠٣ هـ وقيل ١١٠ هـ انظر تاريخ بغداد ١٢/٢٢٩ وتذكرة الحفاظ ١/٧٩.

(٣) هو محمد بن المثنى بن عبيد المعتمر أبو موسى الحافظ — صدوق ورع ثقة ثبتا توفي ٢٥٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢/٥١٢.

(٤) هو عبد الوهاب بن عطاء أبو ناصر البجلي ثقة توفي سنة ٢٠٤ هـ طبقات الحفاظ ص ١٤١.

(٥) هو يعقوب بن ابراهيم ابن كثير بن زيد ابن أفلح الدورقي حافظ متقن صنف المسند توفي ٢٥٢ هـ تذكرة الحفاظ ٢/٥٠٥.

(٦) هو اسماعيل بن ابراهيم ابن عليه وهي امه وجدته مقسم الأسدي أبو بشر كان سيد المحدثين وريحانه الفقهاء صدوق ورع ثقة توفي ١٩٣ هـ تاريخ بغداد ٦/٢٢٩ تذكرة الحفاظ ١/٣٢٢.

حدثني يعقوب قال ثنا ابن أبي زائدة^(١) قال: أخبرني عاصم^(٢) الأحول قال: قلت لأنس^(٣) بن مالك أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية فقال: نعم كنا نكره الطواف بينهما لأنهما من شعائر الجاهلية حتى نزلت هذه الآية ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾.

حدثني علي بن سهل^(٤) الرملي قال ثنا مؤمل^(٥) ابن اسماعيل قال : ثنا سفيان^(٦) عن عاصم قال: سألت أنسا عن الصفا والمروة فقال: كانتا من شعائر الجاهلية فلما كان الاسلام أمسكوا عنها فنزلت : ان الصفا والمروة من شعائر الله.

حدثني عبد الوارث^(٧) بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثني أبو الحسين^(٨) المعلم قال ثنا سنان أبو معاوية عن جابر الجعفي^(٩) عن عمرو بن

-
- (١) انظر تقريب التهذيب ٢٥٧/١.
 - (٢) هو عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري ثقة توفي سنة ١٤١ هـ. انظر تذكرة الحفاظ ص ١٤٩.
 - (٣) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري المدني خدام رسول الله ﷺ له صحبه طويلة وحديث كثير توفي سنة ٩٣ — أسد الغاية ١٥١/١ الاصابه ٨٤/١، تذكرة الحفاظ ٤٤/١.
 - (٤) انظر تقريب التهذيب ٣٣٥/١ — ٣٣٧.
 - (٥) هو مؤمل ابن اسماعيل البصري صدوق توفي سنة ٢٠٦ هـ انظر تقريب التهذيب ٢٩٠/٢.
 - (٦) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أحد الائمة الاعلام أمير المؤمنين في الحديث حافظ ثقة توفي سنة ١٦١ هـ تاريخ بغداد ١٥١/٩.
 - (٧) صدوق من الحادية عشر توفي ١٥٢ هـ تقريب التهذيب ٥٢٧/١ طبقات الحفاظ ١٤٤.
 - (٨) هو ابن زكوان العوزي البصري ثبت ثقة انظر تذكرة الحفاظ ١٧٤/١.
 - (٩) هو ابن يزيد الحراث الجعفي وثقة جماعة وتكلم فيه آخرون ولعله كان مستقيما أول امره ثم ترك بآخره انظر تقريب التهذيب ١٣٣/١ وطبقات الحفاظ ص ٣٩.

حبش^(١) قال: قلت لابن عمر^(٢): ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ قال: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد (ﷺ) فأتيته فسألته فقال — أنه كان عندهما أصنام فلما حرمن أمسكوا عن الطواف بينهما حتى أنزلت ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾.

حدثني المشي قال: ثنا عبد الله بن^(٣) صالح قال: حدثني معاوية^(٤) ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوله ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾، وذلك أن ناسا كانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فأخبر الله انهما من شعائرة والطواف بينهما أحب إليه فمضت السنة بالطواف بينهما.

حدثني موسى قال ثنا عمر قال ثنا أسباط عن السدي أن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما قال: زعم أبو مالك^(٥) عن ابن عباس أنه كان في الجاهلية شياطين تعزف الليل أجمع بين الصفا والمروة وكانت بينهما آلهة فلما جاء الاسلام وظهر قال المسلمون: يا رسول الله لانطوف بين الصفا والمروة فإنه شرك كنا نفعله في الجاهلية فأنزل الله: فلا جناح عليه أن يطوف بهما.

حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن عليه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ قال:

-
- (١) مقبول من الطبقة الثالثة انظر تقريب التهذيب ٦٧/٢.
(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب منا قبه جمعة أثنى عليه النبي (ﷺ) ووصفه بالصلاح توفي سنة ٧٤ هـ أنظر أسد الغابة ٣/٣٤٠ طبقات الحفاظ ص ٩.
(٣) ثقة مأمون توفي سنة ٢١١ انظر تقريب التهذيب ٤٢٣/١.
(٤) معاوية بن صالح قاض الاندلس ثقة توفي سنة ١٥٨ هـ تقريب التهذيب ٢٥٩/٢ طبقات الحفاظ ص ٧٧.
(٥) طبقات الحفاظ ص ٧٧.

قالت الأنصار ان السعى بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية.
فأنزل الله — تعالى ذكره — ان الصفا والمروة من شعائر الله.

حدثني محمد بن عمر قال: ثنا أبو عاصم، قال ثنا عيسى عن ابن أبي
جريح عن مجاهد نحوه.

حدثني يونس قال: أخبرني ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: فلا
جناح عليه أن يطوف بهما قال: كان أهل الجاهلية قد وضعوا على كل واحد
منهما صنما يعظمونهما فلما أسلم المسلمون كرهوا الطواف بالصفا والمروة
لمكان الصنمين فقال الله تعالى: ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج
البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما.

وقرأ: ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب، وسن رسول الله
(ﷺ) الطواف بهما.

حدثنا ابن حميد قال: ثنا جرير عن عاصم، قال: قلت لأنس الصفا
والمروة، اكنتم تكرهون ان تطوفوا بهما مع الأصنام التي نهيتم عنها قال نعم
حتى نزلت: ان الصفا والمروة من شعائر الله.

حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير قال أخبرنا عاصم قال: سمعت أنس ابن
مالك يقول: أن الصفا والمروة من شعائر قريش في الجاهلية فلما كان
الاسلام تركناهما.

(وقال آخرون بل أنزل الله — تعالى ذكره — هذه الآية في سبب قوم كانوا
في الجاهلية لايسعون بينهما فلما جاء الاسلام تخوفوا السعى بينهما كما كانوا
يتخفونه في الجاهلية.

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد عن سعيد بن قتادة قوله: ان الصفا
والمروة من شعائر الله الآية فكان حي من تهامة في الجاهلية لايسعون بينهما
فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله. وكان من سنة ابراهيم
واسماعيل الطواف بينهما.

حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنى عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة قال: كان ناس من أهل تهامة لايطوفون بين الصفا والمروة، فأنزل الله ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾.

حدثنى المثنى قال: ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى الليث قال: حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال حدثنى عروة ابن الزبير قال سألت عائشة فقلت لها: أ رأيت قول الله: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ وقلت لعائشة: والله ما على أحد جناح أن لايطوف بالصفا والمروة.

فقالت عائشة: بئسما قلت يا بن أختى ان هذه الآية لو كانت كما أولتها كانت لاجناح عليه أن لايطوف بهما، ولكنها انما انزلت في الانصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدون بالشلل، كان من أهل لها يتخرج ان يطوف بين الصفا والمروة فلما سألوا رسول الله (ﷺ) عن ذلك فقالوا: يا رسول الله انا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله — تعالى ذكره — ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾، قالت عائشة ثم قد سن رسول الله (ﷺ) الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: كان رجال من الأنصار ممن يهل لمناة في الجاهلية — ومناة صنم بين مكة والمدينة، قالوا يابى الله: انا كنا لنطوف بينهما تعظيما لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما فأنزل الله تعالى ذكره: ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، قال عروة فقلت لعائشة: ما أبالى أن لا أطوف بين الصفا والمروة، قال الله: فلا جناح عليه، قالت: يابن أختى الا ترى أنه يقول: ان الصفا والمروة من شعائر الله، قال الزهرى، فذكرت ذلك لأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقال: هذا العلم قال أبو بكر ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يقولون لما أنزل الله الطواف بالبيت ولم ينزل الطواف بين الصفا والمروة قيل للنبي (ﷺ) انا كنا نطوف في الجاهلية بين

الصفاء والمروة وأن الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر الطواف بين الصفاء والمروة فهل علينا من حرج أن لا نطوف بهما فأنزل الله تعالى ذكره: ان الصفاء والمروة من شعائر الله الآية كلها.

قال أبو بكر فاسمع ان هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما فيمن طاف وفيمن لم يطف.

حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا معمر عن قتادة قال: كان ناس من أهل تهامة لا يطوفون بين الصفاء والمروة فأنزل الله: ان الصفاء والمروة من شعائر الله.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: أن الله — تعالى ذكره — قد جعل الطواف بين الصفاء والمروة من شعائر الله كما جعل الطواف بالبيت من شعائره فأما قوله: فلا جناح عليه أن يطوف بهما فجائز أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي وبعضهم من أجل ماكان من كراحتهم الطواف بهما في الجاهلية على ما روى عن عائشة، وأي الأمرين كان من ذلك، فليس في قول الله تعالى ذكره — فلا جناح عليه أن يطوف بهما، الآية. دلالة على أنه عني به وضع الحرج عن من طاف بهما من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز بحظر الله ذلك، ثم جعل الطواف بهما رخصة لاجتماع الجميع على ان الله — تعالى ذكره — لم يحظر ذلك في وقت تم رخص فيه بقوله: فلا جناح عليه أن يطوف بهما وإنما الاختلاف في ذلك بين أهل العلم على أوجه:

(أ) فرأى بعضهم أن تارك الطواف بينهما تارك من مناسك حجه فلا يجزيه منه غير قضائه بعينه كما لا يجزي تارك الطواف الذي هو طواف الافاضة الا قضاءه بعينه وقالوا: هما طوافان أمر الله بأحدهما بالبيت والآخر بين الصفاء والمروة.

(ب) ورأى بعضهم أن تارك الطواف بهما يجزيه من تركه فدية ورأوا أن حكم الطواف بهما حكم رمي بعض الجمرات والوقوف بالمشعر، وطواف الصدر وما أشبه ذلك مما يجزى تاركه من تركه فدية ولا يلزمه العود لقضائه بعينه.

(ج) ورأى آخرون أن الطواف بهما تطوع إن فعله صاحبه كان محسنا وإن تركه تارك لم يلزمه بتركه شيء والله تعالى أعلم.

ذكر من قال : ان السعي بين الصفا والمروة واجب ولا يجوز منه فدية ومن تركه فعليه العودة :

حدثنا أبو كريب قال : ثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لعمرى ما حج من لم يسع بين الصفا والمروة لأن الله قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله.

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال مالك بن أنس: من نسي السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة المكرمة فليسع، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العودة والهدى.

وكان الشافعي يقول على من ترك السعي بين الصفا والمروة حتى رجع إلى بلده العودة إلى مكة حتى يطوف بينهما لا يجزية غير ذلك. حدثنا بذلك عنه الربيع.

ذكر من قال يجوز منه دم وليس عليه عود لقضائه : قال الثوري بما حدثني به علي بن سهل عن زيد بن أبي الزرقاء عنه، وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ان عاد تارك الطواف بينهما لقضائه فحسن وان لم يعد فعليه دم.

ذكر من قال ان الطواف بينهما تطوع ولا شيء على من تركه، ومن كان يقرأ فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما.

حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا ابن جريح قال: قال عطاء: لو أن حاجا أفاض بعد مارمى جمرة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها يعنى امرأته لم يكن عليه شيء لاحق ولا عمرة من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود: فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما. فعاودته بعد ذلك فقلت انه قد ترك سنة النبي (ﷺ) قال الا تسمعه يقول: فمن تطوع خيرا فأبى أن يجعل عليه شيئا.

حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال: ثنا هشيم قال: اخبرنا عن الملك عبد عطاء عن ابن عباس انه كان يقرأ ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية فلا جناح عليه الا يطوف بهما.

حدثني علي بن سهل قال: ثنا مؤمل: قال ثنا سفيان عن عاصم قال سمعت أنسا يقول: الطواف بينهما تطوع.

حدثني المشي قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد، قال أخبرنا عاصم الأحوال قال: قال انس بن مالك: هما تطوع.

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه.

حدثني المشي قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ قال: فلم يخرج من لم يطف بهما.

حدثنا المشي قال: ثنا حجاج قال: ثنا أحمد عن عيسى بن قيس عن عطاء عن عبد الله بن الزبير قال: هما تطوع.

حدثنا ابن حميد قال: ثنا جرير عن عاصم قال: قلت لأنس بن مالك: السعي بين الصفا والمروة تطوع؟ قال تطوع.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن الطواف بهما فرض واجب وان على من تركه العود لقضائه ناسيا كان أو عامدا الا أنه لايجزية غير ذلك لتظاهر الاخبار عن رسول الله (ﷺ) انه حج بالناس فكان مما علمهم من مناسك حجهم الطواف بهما.

ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثني يوسف بن سليمان قال: ثنا حاتم بن اسماعيل قال: ثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: لما دنا رسول الله (ﷺ) من الصفا في حجه قال: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ ابدؤ بما بدأ الله بذكره فبدأ بالصفا فرقى.

حدثني أبو كريب قال: ثنا محمود بن ميمون أبو الحسن عن أبي بكر بن عباس عن ابن عطاء عن ابيه عن ابن عباس أن النبي (ﷺ) قال : ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ فأتى الصفا فبدأ بها فقام عليها، ثم أتى المروة فقام عليها وطاف وسعى فإذا كان صحيحا باجماع الجميع من الأمة أن الطواف بهما على تعليم رسول الله (ﷺ) أمته في مناسكهم، وعمله في حجه وعمرته كان بيانه (ﷺ) لأمرته مجمل مانص عليه في كتابه وفرضه في تنزيله وأمر به مما لم يدرك علمه الا ببيانه لزم العمل به أمته لما قد بينا في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام».

إذا اختلفت الأمة في وجوبه ثم كان مختلفا في الطواف بينهما هل هو واجب أو غير واجب كان بيان وجوب فرضه على من حج أو اعتمر لما وصفنا.

وكذلك وجوب العود لقضاء الطواف بين الصفا والمروة لما كان مختلفا فيما على من تركه مع اجماع جميعهم على أن ذلك مما فعله رسول الله (ﷺ) وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم اذ علمهم مناسك حجهم كما طاف بالبيت وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم.

وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا تجزى منه فدية ولا بدل، ولا يجزى تاركه الا العود لقضائه كان نظير له الطواف بالصفا والمروة، ولا تجزى منه الفدية ولا جزاء، ولا يجزى تاركه الا العود لقضائه، اذا كان كلاهما طوافين احدهما بالبيت والآخر بالصفا والمروة.

ومن فرق بين حكمهما عكس عليه القول فيه، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما.

فان اعتل بقراءة من قرأ فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما قيل ذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين، غير جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم ما ليس فيها، وسواء قرأ ذلك كذلك قارئاً أو قرأ قارئاً ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ فلا جناح عليه أن لايطوفوا به، فان جاءت احدى الزيادتين اللتين ليستا في المصحف كانت الاخرى نظيرتها

والا كان مجيزا. احدهما اذا منع الاخرى متحكما والتحكم لايعجز عنه أحد وقد روى انكار هذه القراءة، وأن يكون التنزيل بها عن عائشة.

حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني مالك بن أنس عن هشام ابن عروة عن أبيه قال: قلت لعائشة زوج النبي (ﷺ) وأنا يومئذ حديث السن رأيت قول الله عز وجل: ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما نرى على أحد شيئا ألا يطوف بهما، فقالت عائشة كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لايطوف بهما، انما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناه وكانت مناه حذو قديم، وكانو يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله (ﷺ) عن ذلك، فأنزل الله: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾.

وقد يحتمل قراءة من قرأ فلا جناح عليه أن لايطوف بهما أن تكون لا التي مع أن صلة في الكلام اذا كان قد تقدمها جحد في الكلام قبلها وهو قوله فلا جناح عليه فيكون نظير قوله تعالى ذكره — قال مامعك أن لاتسجد إذ أمرتك بمعنى مامعك أن تسجد وكما قال الشاعر:

ماكان مرضى رسول الله فعلهما والطيبان أبا بكر ولا عمر

ولو كان رسم المصحف كذلك لم يكن فيه لمحتج حجة مع احتمال الكلام مع ماوصفنا لما بينا ان ذلك مما علم رسول الله (ﷺ) أمته في مناسكهم على ماذكرنا، ولد لاله القياس على صحته فكيف وهو خلاف رسوم مصاحف المسلمين. ومما لو قرأه اليوم قارئ كان مستحقا العقوبة لزيادته في كتاب الله عز وجل مالميس منه.

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم﴾. اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿ومن تطوع خيرا﴾ على لفظ المعنى بالتاء فتح العين، وقرأته عامة قراء الكوفين ﴿ومن تطوع خيرا﴾ بالياء وجزم العين وتشديد الطاء بمعنى: ومن يتطوع،

وذكر أنها في قراءة عبد الله ﴿ومن يتطوع﴾ فقرأ ذلك قراء أهل الكوفة على ما وصفنا اعتبار بالذي ذكرنا من قراءة عبد الله سوى عاصم فإنه وافق المدنيين فشدّدوا الطاء طلبا لادغام الفاء في الطاء.

وكلتا القراءتين معروفة صحيحة متفق معانها غير مختلفين لأن الماضي من الفعل مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل فبأى القراءتين قرأ ذلك قارى فمصيب.

ومعنى ذلك ومن تطوع بالحج أو العمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه فإن الله شاكر له على تطوعه له بما تطوع به من ذلك ابتغاء وجهه فمجازية به عليم بما قصد وأراد في تطوعه بما تطوع به.

وانما قلنا أن الصواب في معنى قوله: ﴿فمن تطوع خيرا﴾ هو ما وصفنا دون قول من زعم أنه معنى به فمن تطوع بالسعى والطواف بين الصفا والمروة لأن الساعى بينهما لا يكون متطوعا بينهما الا في حج تطوع أو عمرة تطوع لما وصفنا قبل.

واذا كان ذلك كذلك كان معلوما أنه انما عني بالتطوع بذلك التطوع بما يعلم ذلك فيه من حج أو عمرة.

وأما الذين زعموا أن الطواف بهما تطوع لا واجب فإن الصواب أن يكون تأويل ذلك على قولهم. فمن تطوع بالطواف بهما فإن الله شاكر.

لأن للحاج والمعتمر على قولهم الطواف بهما ان شاء وترك الطواف فيكون معنى الكلام على تأويلهم فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة فإن الله شاكر تطوعه ذلك عليم بما أراد ونوى الطائف بهما كذلك.

كما حدثني محمد بن عمر قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ومن تطوع خيرا﴾ فإن الله شاكر عليم قال: من تطوع خيرا فهو خير له. تطوع رسول الله (ﷺ) فكانت من السنن. وقال آخرون: معنى ذلك «ومن تطوع خيرا فاعتمر».

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد في قوله: ﴿ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ من تطوع خيرا فاعتمر فإن الله شاكر عليم، قال فالحج فريضة والعمرة تطوع ليس العمرة واجبة على أحد من الناس).

التعقيب

بعد عرض هذا النموذج، وبقراءتك له يتضح لك أيها القارئ الكريم منهج الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن الذي حدثناك عنه وضوحا جليا، حيث أن الإمام — رحمه الله تعالى — ذكر معاني النص الكريم ودلالة اللغة عليها مستشهدا لما قرره من المعاني بما ورد عن العرب ثم ذكر من آثار من سبقوه ما يؤيد المعنى الذي ارتضاه لغة.

ثم استنبط الأحكام الشرعية من الآية الكريمة ذاكرا أقوال أهل العلم في هذه الأحكام واختار رأيا ارتضاه واستدل له بما يدل عليه دلالة قوية من وجهة نظره — ورد الأقوال الأخرى مستشهدا على ذلك بما يقوى ما اختاره، وما يضعف الأقوال الأخرى. وهو في هذا الجانب امام من الائمة المجتهدين.

والطبري عالم بالقراءات صحيحها ومردودها، كما رأيت في مناقشة القراءة.

النموذج الثاني

مسئولية الانسان عن عمله

قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى، وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة، ومن تتركى فانما يتركى لنفسه وإلى الله المصير﴾.

الآية ١٨ من سورة فاطر

قال في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٢/٨٤ ما نصه :

وقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول تعالى ذكره ولا تحمل آثمة اثم أخرى غيرها ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ يقول تعالى: وان تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها، وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئاً منها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد^(١) بن سعد قال: ثنا أبي قال، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى، وان تدع مثقله إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ يقول: يكون عليه لا يجد أحد يحمل عنه من وزره شيئاً.

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني

(١) هو محمد بن سعد بن منيع البصري الحافظ، كاتب الوافدى — العلامة البصرى، ثقة توفى سنة ٢٣٠ هـ — انظر تذكرة الحفاظ ٢/٤٢٥، وطبقات الحفاظ ١٨٣.

الحريث ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء^(١) جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء كنحو ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة: ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ إلى ذنوبها ﴿لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ أي قريب القرابة منها لا يحمل من ذنوبها شيئا، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئا، ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴿ونصب ذا قربى على تمام كان لأن معنى الكلام ولو كان الذي تسأله أي يحمل عنها ذنوبها ذا قربى لها، وأنثت مثقلة لأنه ذهب بالكلام إلى النفس كأنه قيل وان تدع نفس مثقلة من الذنوب إلى حمل ذنوبها، وانما قيل كذلك لأن النفس تؤدي عن الذكر والأنثى كما قيل: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ يعني بذلك كل ذكر وأنثى.

وقوله: ﴿انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاناة منهم لذلك ولكن لايمانهم بما آتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله فهؤلاء الذين ينفعهم انذارك، ويتعظون بمواعظك لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.

كما حدثنا بشر قال: ثنا يزيد: قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾، أي يخشون النار، وقوله ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يقول وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم.

قوله ﴿ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه﴾ يقول تعالى ذكره ومن تطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبه إلى الله والايمان به والعمل بطاعته، فانما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يشيها به رضا والفوز بجنابه، والنجاه من عقابه الذي أعده

(١) هو الامام الحجة شيخ السنة أبو بشر البشكري الكوفي — نزيل المدائن — قال احمد بن حنبل ثقة صاحب سنة، وقال أبو داود السجستاني صاحب سنة، وقال أبو المنذر دخلنا على ورقاء وهو يموت فجعل يكبر ويهلل ويذكر الله، فلما كثر الناس قال لابنه اكفني رد السلام، لايشغلوني عن ربي توفي سنة نيف وستين ومائه.

لأهل الكفر به. كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال، ثنا سعيد: عن قتاده قوله: ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه أي من يعمل صالحا فانما يعمل له نفسه.

وقوله: ﴿والى الله المصير﴾ يقول: وإلى مصير كل عامل منكم، يأيها الناس مؤمنكم وكافرکم، وبرکم وفاجرکم، وهو مجاز جمیعکم بما قدم من خير وشر على ما أهل منه.

التعقيب

واضح من هذا النموذج أن الامام قد أول النص الكريم بما دلت عليه اللغة مما هو متبادر منها ووثق هذا الفهم بما ثبت لديه من آثار عن السلف، متبعا فيها منهجه الذي حد ثناك عنه، ونراه لم يصرف لفظا عن ظاهره لأن الألفاظ كما يبدو لك لا تحتمل غير الظاهر.

النموذج الثالث

القصص القرآني

قال تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب، إذ دخلوا على داود ففزع منهم، قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق، ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة فقال: أكفلنيها وعزني في الخطاب، قال: لقد ظلك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وظن داود أنما فتناه، فاستغفر ربه، وخر راكعا، وأناب﴾.

الآيات ٢١ — ٢٤ سورة ص

انظر في ذلك جامع البيان في تفسير القرآن ٨٩/٢٣ — ٩٧.

وبعد قراءتك لنصه في كتابه يتضح لك أنه سار كما حدثناك فسر المعنى بما يفهم منه ثم أيد ما قال بما نقله عن السلف.

ولقد ذهب بعض المفسرين قديما وحديثا إلى أن هذه القصص التي وردت في هذا النص الكريم من الاسرائيليات التي لم يتبها ذاكرها لخطورتها وأنه كان ينبغي الاعراض والاكتفاء بتلاوة الآيات مجردة كما قلنا لك في نفس النص أثناء العرض لنماذج التفسير بالمأثور الصرف مقولة الامام ابن كثير رحمه الله.

وسار على دربه اناس من القدماء والمحدثين.

وقبل أن نترك المقام لابد من توضيح وجهة نظرنا في هذا الموضوع — وخاصة أنه يتعرض للسلف بأخذهم عن الاسرائيليات دون تمحيص — وهذا

القول في النفس منه شيء لمكانه السلف من هذه الامة — لذا نرى من الحق أن نضع بين يديك مانراه أقرب إلى الصواب في هذا الجانب فنقول وبالله التوفيق.

من المتيقن أن داود عليه السلام افتن، ومن المتيقن أن داود علم بمالا يناسبه فاستغفر ربه وأتاب، وغفر له ربه كما ذكرت الآيات.

وهذا الامر صدور مالا يناسب النبوة — ليس مستغربا في الرسل فالقرآن الكريم يقول عن آدم وزوجه: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

الاعراف آية ٢٣

وقال عن محمد ﷺ: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾.

(الانفال — آية ٦٨).

وحديث الشفاعة قريب منك وفيه أن كل من يلجأ اليه القوم من النبيين من لدن آدم يقول نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ذاكرنا ماكان منه إلى أن يصل الناس بآخره إلى النبي محمد ﷺ بارشاد عيسى عليه السلام^(١).

ولما كان أمر بعض النبيين معروفا فيما حكى عنهم الا أمر داود في هذه الآية آخذه بعض السلف عن أهل الكتاب فيما يرون أنه مأذون به لهم، ولا نجزم أنهم — رضى الله عنهم صدقوا أهل الكتاب فيما قالوا، بل ربما فهموا من هذه القصص، غير مانقرأه نحن — من كلمات فيما روى عنهم — مما يتناسب ونبي الله داود عليه السلام ولا شيء في هذا.

وان كان بعض المفسرين ذكروا روايات تذهب في قصة داود

(١) انظر الحديث بتمامه مطبوعا في صحيح مسلم كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٤/١ : ١٨٦.

والخصمين مذهبا ينحو بها منحى غير الذي يبدو من ظاهر بعض الروايات حيث يذكر أن داود سأل أوريا أن يتنازل له عن امرأته فتنازل عنها استحياء من داود — وكان ذلك معروفا في عاداتهم، وقريب منه — كما ذكر ذاكره — فعل الانصار مع المهاجرين، ثم عوتب داود بالخصمين على ما كان منه.

ثم ذكر وجها آخر مفادة أن داود تقدم لخطبة المرأة وكان أوريا قد خطبها فأثر أهل المرأة داود على أوريا، فعوتب داود بقصة الخصمين^(١).

ونحن نرى أنه ان صحت الرواية الاولى التى ذكرها النسفى فانسجامها مع النزاع في النعاج واضح.

يؤكد ذلك — عدم ذكر ماستغفر داود ربه منه — ان المتأخرين — وفقهم الله أيضاً اختلفوا في تأويل مادعا داود إلى الاستغفار فبعضهم ذهب إلى أن داود عليه السلام ظن أن هذين الخصمين دخلا لقتله كما هو معروف عن بعض بنى اسرائيل مع بعض الانبياء من قتلهم لهم كما حكى القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَتْلِهِمُ الْاَنْبِيَاءَ بَغْيِرَ حَقٍّ﴾^(٢) فهم بقتلهم، ولكنه تذكر ان الصفح هو الأولى في حقة فاستغفر ربه^(٣).

ويؤيد هذه الوجهة ما ذكرته الآيات من قوله تعالى: ﴿فَفَزَعَ مِنْهُمْ﴾، قالوا لا تخف ﴿وبعضهم ذهب إلى أن ما استغفر داود ربه منه أنه لم يسمع كلام الخصم الثاني وأنه لا ينبغي أن يكون منه ذلك﴾^(٤).

ويؤيد هذه الوجهة ما جاء بعد آياتنا هذه من قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ انا جعلناك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾.

ولذلك نرى أن مقولة الامام الحافظ ابن كثير فيما ذكرنا لك سابقا — هي عصمة من الزلل وخاصة في حق من يخوض دون أن يدري.

(١) انظر تفسير النسفى ٣٧/٤ — ٣٨.

(٢) النساء من الآية ١٥٥.

(٣) انظر في ذلك تفسير المراغى ١١٠/٢٣ — تفسير سورة ص — الايات المذكورة.

(٤) انظر في ذلك صفوة التفاسير القسم الرابع عشر ٣٣ تفسير الآيات من سورة ص.

ويؤكد مذهبنا إليه من بيان موقف السلف الايماني من الأخذ عن أهل الكتاب أمران.

الأول: ذكر قصة فتنه داود عند أهل الكتاب من كتبهم.

الثاني: بيان ما أحاط به القرآن في هذا الجانب.

أما عن الأمر الأول: فقد جاء في سفر صموئيل الثاني الاصحاحين ١١، ١٢ ص ٣٩٧ — ٤٩٩ ما نصه :

(وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوب، وعبيده معه، وجميع اسرائيل، فأخرجوا بنى عمون، وحاصروا ربه. وأما داود فأقام في اورشليم، وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد أليست هذه بششيع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي فأرسل داود رسلا وأخذها، فدخلت عليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها، ثم رجعت إلى بيتها.

وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود، وقالت أنى حبلى. فأرسل داود إلى يوب يقول: أرسل إلى أوريا الحثي فأرسل يوب أوريا إلى داود، فأتى أوريا إليه. فسأل داود عن سلامة يوب، وسلامة الشعب ونجاح الحرب.

وقال داود لأوريا انزل إل بيتك واغسل رجلك، فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصاة من عند الملك، ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك، فقال أوريا لداود: ان التابوت، واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدى يوب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب واضطجع من أمراى؟! وحياتك وحيوية نفسك لا أفعل هذا الأمر.

فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضا وغدا أطلقك، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم، وغده، ودعاه داود فأكل أمامه، وشرب، وأسكره، وخرج عن المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل.

وفي الصباح كتب داود كتابا إلى يوباب وأرسله إليه بيد أوريا.

وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديد، وارجعوا من روائه فيضرب ويموت.

وكان في محاصرة يوباب المدينة في الموضع الذي علم أن رجال الباس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوباب فسقط بعض الشعب من عبيد داود، ومات أوريا الحثي أيضا.

فأرسل يوباب، وأخبر داود بجميع أمور الحرب، وأوصى الرسول قائلا: عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب.

فان اشتعل غضب الملك وقال لك: لماذا وفوتم من المدينة للقتال؟ أما علمتم أنهم يرمون من على السور من قتل أيمالك بن يريشث ألم ترمه امرأة بقطعة رحي من على السور فمات في تاباص لماذا وفوتم من السور؟ فقل: قد مات عبدك أوريا الحثي أيضا.

فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بما أرسله فيه يوباب، وقال الرسول لداود قد تجبر علينا القوم، وخرجوا إلينا إلى الحقل، فكنا عليهم إلى مدخل الباب، فرمى الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك، ومات عبدك أوريا الحثي أيضا، فقال داود للرسول هكذا نقول ليوباب لئلا يسوء في عينك هذا الأمر لأن السيف يأكل هذا وذاك، شدد قتالك على المدينة، وأخربها، وشدده.

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجليها ندبت بعلها، ولما مضت المناحي أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة، وولدت له ابنا. وأما الأمر الذي فعله داود ففبح في عين الرب.

توضيح :

بقراءتك لهذا النص من كتب القوم التي يعتقدون صحتها ويؤمنون بها
ويقيمون عليها سلوكهم نبين لك مايلي :

١ — أن القوم قد رموا نبيهم وملكهم بالزنا، ونسبوا إليه الرذيلة، ولم يقدرُوا
قيمة الرسالة أو الرسول بهذا الاتهام الفاضح الذي يشين عامة الناس
فما بالك بالرسول.

٢ — ان القوم قد نسبوا إلى نبيهم وملكهم جريمة تدبير القتل مع قائدة
ليستر جريمته وفعلته السيئه.

٣ — ان القوم قد نسبوا إلى نبيهم وملكهم جريمة شرب الخمر حتى السكر،
وسقيه غيره معه حتى الدرجة نفسها.

فهل ترى سلفنا قد سلك مسلك القوم؟ حتى نسب إليهم — على وجه
التبشيع — أنهم تأثروا بالنقل عن أهل الكتاب فيما لم يرد فيه توضيح في
القرآن أو السنة لانشك في أن سلفنا مبرعون عن ذلك من خلال ماعرضناه
لك عن آرائهم في هذا القصص، كل مأخذوه مايمكن أن يكون من البشر
— في حدود ماعرفوه عن النبوة وماأعتقدوه صوابا في حقهم وكما ذكرنا لك
فان القوم لم يعتقدوا صحة ما عند أهل الكتاب.

ونحن نعتقد اعتقادا جازما أن أهل الكتاب دعاة فسق وفجور أرادوا
نشره بين الناس وأكدوه بنسبته إلى أنبيائهم فلاهم مؤمنون بنبوة، ولاهم مؤمنون
بإله قد عصم أنبياءه من الوقوع في الكبائر.

على حين نعتقد نحن أن الانبياء مبرعون مما يقول هؤلاء وأنهم مصطفىون
لِلرسالة:

قال تعالى ذكره ﴿اللّٰهُ يَصْطَفِيّٰ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (١).

(١) الحج الاية ٧٥.

وقوله — تعالى ذكره ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكر الدار وإنهم عندنا لم المصطفين الأخيار﴾^(١).

ولعله قد اتضح لك الفرق بين ما قيل: ان أهل التفسير أخذوه عن أهل الكتاب، وما هو قائم فعلا عند أهل الكتاب.

ولايغيب أن السلف يؤمنون ايماناً جازماً أن القوم قد حرفوا الكلم عن موضعه يقول القرآن ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾^(٢) وقوله ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾^(٣).

الامر الثاني: ان الله سبحانه وتعالى حين ذكر فتنه الانبياء وقصصهم حصن المسلمين بما يمنعهم عن الخوض في حق انبياء الله كما خاض هؤلاء الملعونون في حق أنبيائهم.

وانظر إلى هذه الآيات التي سأذكرها لك مع بعض النبيين تدرك كيف أخرس الله — سبحانه وتعالى — ألسنة المفتريين على الرسل الواصفين لهم بما يشينهم، وعصم المسلمين بهدايتهم عن الخوض كالذي خاض فيه هؤلاء. وهذه الآيات التي سندكرها لك ذكرت مع بعض المواقف لبعض النبيين.

الموقف الأول: وهو مع يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ومادعته إليه فيقول جل ذكره: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾^(٤).

فهذه الآية عند من يعقل تبرئ ساحة يوسف فلا خوض بعد تبرئة الساحة من الله تعالى.

(١) ص الآية ٤٦ — ٤٧.

(٢) المائدة من الآية ١٣.

(٣) المائدة من الآية ٤١.

(٤) يوسف الآية ٢٢.

الموقف الثاني: وهو مع نبي الله موسى عليه السلام سيق لبيان أن موسى لم يحرص على جناية القتل.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾^(١).

الموقف الثالث: في حق داود عليه السلام قبل قصة الخصمين.
قال تعالى — ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾^(٢).

وفي هذا مافيه من تبرئه ساحة النبي الكريم.

الموقف الرابع: في حق سليمان عليه السلام قبل الكلام عن فتنته وفيها بيان لقدره وقدر أبيه عليهما السلام.
قال عز من قائل: ﴿وهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب﴾^(٣).

ولعله قد اتضح لك الآن — أيها القارى الكريم مما نبهناك إليه، وماتفهمه من قراءتك للنصوص أن السلف المفسرين مبرءون مما يتقوله الذين في نفوسهم مرض ولهم مغفرة وأجر عظيم.

التعليق العام

يتضح لك من عرضنا لهذه النماذج أن الامام قدوة أصحاب هذا المنهج قد التزم بما رسم لنفسه سابقا وتبين لك مما وثقناه لك من رواته أن الرجل حرص على التوفيق في نقوله لما يدعم وجهة نظرة من أقوال السلف قدر الممكن.

وتبين لك وجهة نظرنا أن الرجل يحصل الموضوع أولا معنى وأحكاما ذاكرة أقوال أهل العلم مبينا الراجح منها مدعما ذلك دون استطراد، كما

(١) القصص الآية ١٤.

(٢) ص الآية ٢٠.

(٣) ص الآية ٢٠.

يعرض القراءات عرض الناقد البصير كما يذكر من خلال رؤية النكات النحوية التي تبين وجهة قوله مما له أثر في تغير المعنى بسببها.

وحول ما يقال عن الاسرائيليات فقد بينا لك وجهة نظرنا وأن هذا لا ينقص من قدر هذا المنهج ولا يعرض من قيمته.

وغنى عن البيان أننا وضحنا لك قبل هذا أن الامام اتبع المدرسة المكية التي أمها ابن عباس رضى الله عنه.

وقد مر بك ترجمتنا لبعض الرواة الذين مر ذكرهم فيما مضى حين عرضنا للآثار التي ذكرها، وقد ذكرنا لك أنهم ثقات. ولكن ذلك لا يمنع من تعقب الرجال الذين ورد ذكرهم في روايات الآثار في جامعة كله، وخاصة أن الرجل قد خرج من عهدة البحث بذكره السند كاملاً وان كان الرجل قد تعقب كثيراً من الروايات بالنقد، وندعوا الله سبحانه وتعالى أن يمكن المشتغلين بالقرآن الكريم وعلومه من تتبع مالم يتبعه ابن جرير خدمة لدين الله.

تنبيه

وقبل أن نضع القلم نبين منزلة من أخذ عنهم السلف ممن أسلم من أهل الكتاب — حتى نبين لك بوضوح مسلك من أخذ عنهم من المسلمين، ومسلكتهم أيضاً فيما يرون، ونحن نجزم أيضاً أنهم بعد اسلامهم لم يجزموا بصحة ما أخبروا عن سبق. اتباعاً لاسلامهم، وإيماناً بما أتى به على المجرح يهتدى إلى الصواب فنقول:

عبد الله بن سلام: أبو يوسف الاسرائيلي جلبت الأنصار — اسلم وقت مقدم النبي بالمدينة شهد له النبي بالجنة فلا مجال للتهمة في دينه ولا في ثقته وعدالته، اعتمده البخاري وغيره من أهل الحديث توفي سنة ٤٣ هجرية^(١).

(١) انظر تذكرة الحفاظ ٢٦/١ وطبقات الحفاظ ص ٧ والتفسير والمفسرون ١/١٨٧.

كعب الاحبار : أبو اسحاق كعب بن مانع الحميري أصله من اليمن قيل أسلم في خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر وهو عدل ثقة أخرج له مسلم في مواضع وفي أواخر كتاب الايمان كما أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي توفي بجمص سنة ٣٢ هجرية^(١).

وهب بن منبه: هو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، على معرفة بالكتب الالهية القديمة ثقة عالم له حديث في الصحيحين توفي ١١٤ هجرية^(٢).

وضح لك بعد هذا أن هؤلاء الرجال لا يتصور منهم ما صوره المغرضون الذين يريدون تشوية الاسلام في تشوية رجالة.

(١) انظر التفسير والمفسرون ١٨٧/١ — ١٨٩.

(٢) انظر تذكرة الحفاظ ١٠٠/١ — ١٠١ وطبقات الحفاظ ٤١.

ثالثاً : زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي

عمدنا إلى اختيار هذا التفسير من أجل أنه في مرحله وسطى بين الامام الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ، وبين من يأتي من بعده فصاحبة كما علمت متوفى سنة ٥٩٧ هـ حتى نعطي تصوراً عن مراحل هذا اللون مع بيان مدى عمق الارتباط بالتفسير الأثرى في عهود التفسير المختلفة.

التعريف بالمؤلف :

هو الشيخ الحافظ العلامة، والواعظ الفهامة عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبد الله البكرى القرشى التيمى، من ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، أبو الفرج بن الجوزى، وعرف جدهم بالجوزى لجوزة كانت في دارهم لم يكن بواسط سواها.
مولده : ولد — رحمه الله في سنة ٥١٠ هـ.

نشأته وثقافته : نشأ يتيماً فقد توفى والده أبو الحسن بن محمد سنة ٥١٤ هـ وقد بلغ من العمر ثلاث سنين أو يزيد قليلاً.
وتولته عمته وكانت امرأة صالحة، وأهلها كانوا تجارا في النحاس، ولقد أعتنت عمته اعتناء شديداً بصحته البدنية وتوجيهه العقلي، فأرسلته إلى مكتب صغير في أواخر سنة ٥١٥ أو أوائل سنة ٥١٦ هـ حيث تعلم وعرف الكتابة بعد حداثة سنه.

وبعد الفراغ من تعليمه الابتدائى تولى — مسؤولية تربيته وتعليمه الحافظ المحدث الكبير محمد بن ناصر عالم الحنابلة المشهور، فلم يزل الشيخ يعنى بتعليمه وتربيته فقرأ عليه ابن الجوزى الحديث وسمع منه.

ويحدثنا الامام ابن الجوزى في مناقب الامام احمد بن حنبل فيقول: وهو الذي جعله الله تعالى سبباً لإرشادى إلى العلم، فإنه كان يجتهد معى، ويحملنى إلى المشايخ — يقصد محمد بن ناصر — وأسمعنى مسند الامام

أحمد بقراءته على ابن الحصين والاجزاء العوالي وأنا إذ ذاك لا أدري ما العلم من الصغر، وكان يثبت كل ما أسمعه وقرأت عليه ثلاثين سنة، ولم أستفد من أحد كاستفادتي منه وعليه فقد شرع ابن الجوزي في تلك العلوم الدينية من أوائل عمره فنراه مشغلاً بعلوم القرآن عن اكابر المفسرين مثل ابى الكرم الهاشمي، فإنه كان استاذه الأول في علوم القرآن.

وأيضاً أخذ علوم التفسير عن جماعة سواه منهم أبو القاسم بن الجبار، وأبو عبد الله الخياط، وأبو محمد المقرئ وأبو بكر الباقلاني.

خلقه وعبادته :

كان ابن الجوزي لطيف الصورة حلو السمائل رخم النعمة موزون الحركات حسن الفكاهة، يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون لا يضع من زمانه شيئاً يكتب في اليوم أربع كرايس ولقد جبل على الرياضة الروحانية التي أوصلته إلى الزهد والتقوى فكان يقوم الليل بقراءة القرآن ويصوم النهار يقول ابن كثير: كان وهو صبي ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط أحداً ولا يأكل مافيه شبهة ولا يخرج الا للجماعة وكان لا يلعب مع الصبيان. وان الناظر في كتابه تلبس إبليس يدرك ملل ابن الجوزي من غلو الصوفية.

مكانته وآثاره العلمية :

ان ابن الجوزي كثير التصانيف قلماً يقارنه أحد فيها بالنسبة لتاريخ الاسلام فيما نعلم لافي قرنه ولا في القرون التي سبقت وكل مانعلمه أن السيوطي رحمه الله قد فاق ابن الجوزي في التأليف وهو من علماء القرن العاشر الهجري.

يقول الذهبي : «... ماعلمت أن أحدا من العلماء صنف ماصنف هذا الرجل» ويقول ابن كثير «... أحد افراد العلماء برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره وجمع المصنفات الكبار والصغار نحو من ثلثمائة مصنف وكتب بيده نحو من مائة مجلدة وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولم يلحق شأوه فيه، وفي طريقته وشكله، وفصاحته، وبلاغته، وعدوبته، وحلاوة

ترصيعه، ونفوذ وعظه وغوصه على المعانى البديعية وتقريبه الأشياء الغريبة بمشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والادراك بحيث يجمع المعانى الكثيرة في الكلام اليسير، وله في العلوم كلها اليد الطولي والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو له من المصنفات في ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعداده وحصر افراده، منها: كتابه في التفسير المسهر، ب زاد المسير، وله تفسيراً بطلاً منه ولكنه ليس بمشهور وله جامع المسانيد استوعب به غالب مسند أحمد، وصحيح البخارى ومسلم، وجامع الترمذى، وله كتاب المنتظم في تاريخ من العرب والعجم في عشرين مجلداً، ولم يزل يؤرخ أخبار للعالم حتى صار تاريخياً.

ويقول ابن خليكان : (....) وبالجمله فكتبه أكثر من أن تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون في ذلك حتى يقولون: إنه جمعت الكرايس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكرايس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كرايس وهذا شيء عظيم لا يقبله العقل، ويقال أنه جمعت براءة اقلامه التي كتب بها حديث رسول الله (ﷺ) فحصل منها شيء كثير وأوصى ان يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها.

يقول ابن الجوزى عن نفسه «نقلت باصبعى — ألف مجلد — لعله بقصد أن جملة ما كتب أثناء تعلمه وتأليفه — وتاب على يدى مائة ألف وأسلم على يدى عشرون ألف وله في الشعر مجال واسع براعة ورقة وعذوبة.

وفاته: توفي رحمه الله في سنة ٥٩٧ هـ^(١).

(١) انظر في ذلك: تذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٤، والبداية والنهاية ٢٩/٣.

وفيات الأعيان ٢١/٩/١ شذرات الذهب ٣٢٩/٤.

وطبقات المفسرين للداودى ٢٧٤٢٢٧/١ طبقات الحفاظ ص ٤٧٧ — ٤٧٨.

وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٦١ ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر

١٩/١ وما بعدها.

زاد المسير في علم التفسير ومنهج مؤلفه فيه

التعريف بهذا التفسير :

ان ما بين يديك من هذا الاسم الذي اختاره مؤلفه عنوانا لكتابه في التفسير يبين لك قصد مؤلفه منه اذ أراد أن يحصن العقول مما كثر في غيره مما لم يرتضيه المصنف من أقوال لم تصح في وجهة نظره ورأى فيما ذكره غناً لكل مسلم بدليل أنه اختار كلمة زاد المسير وهذه الكلمة تدل في معناه الموضوع لها أن ما زاد عنه قد يسبب الضرر وان الاكتفاء به يضمن السلامة في البدن فهذا التفسير الاكتفاء يضمن السلامة في العقل والاعتقاد، وذلك من وجهة نظره.

وهذا الكتاب قد طبع طبعة مزيّدة ومنقحة في تسعة اجزاء من الحجم الكبير قام عليها الاستاذ: محمد زهير الشاويش بجهد مشكور.

ويبين ابن الجوزي دوافعه لكتابه هذا التفسير فيقول:

(...) لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم كان الفهم لمعانيه أو في المفهوم لأن شرف العلم من شرف المعلوم ... واني نظرت في جملة من كتب التفسير فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه وصغير لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب فأتييت بهذا المختصر اليسير منظوماً على العلم العزيز، ووسمته زاد المسير في علم التفسير^(١).

ثم بين ابن الجوزي منهجه الذي رسمه لنفسه فيه فيقول :

(...) وقد أدرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة — فنون علوم القرآن مع ما لم أذكره مما لا يستغنى التفسير عنه، فأرجو به وقوع الفناء بهذا

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣/١.

الكتاب عن أكثر مايجالسه، وقد حذرت نفسي من إعادة كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة ولم اغادر من الأقوال التي احطت بها الا ماتبعد صحته مع الاختصار البالغ فاذا رأيت في فرش الآية مالم يذكر تفسيره فهو لا يخلو من أمرين:

اما أن يكون قد سبق.

واما ان يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير.

وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفاسير وأخذ منها الأصح والأحسن والاصون فنظمه في عبارة الاختصار، وهذا حين شروعا فيما ابتدأنا له والله الموفق^(١).

ولقد بين لنا ابن الجوزي أن كتابه هذا هو أحد كتب ثلاث هو أوسطها في هذا العلم فنراه يقول :

(فهذا آخر زاد المسير والحمد لله على الانعام الغزير واذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا في أملنا، فلا يعتقدن من رأى اختصارنا أنا أقلنا، وإنا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ماتركنا ودللنا، فليكن الناظر كتابنا مستيقظا لما أغفلنا فإننا ضمنا للاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا، ومن أراد زيادة بسط في التفسير فعليه بكتابي (المغنى في التفسير) فان اراد اختصار فعليه بكتابنا المسمى بـ (تذكرة الأريب في تفسير الغريب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آبيه آدم وذريته الانبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين)^(٢).

وبعد: فقد عرضنا لك دوافع تأليف الكتاب ومنهج صاحبه فيه كما رسمه لنفسه وكما ذكره هو، ووفق منهجنا سنعرض لك نماذج هذا التفسير ثم نعقب عليها اتباعا لمنهجنا مع الكتب السابقة وهاك النماذج.

(١) زاد المسير في علم التفسير ٦/١ — ٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٢٨٠/٩.

النماذج

النموذج الأول :

في الاحكام

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

(الآية ١٥٨ من سورة البقرة)

يقول في زار المسير في علم التفسير ١ / ١٦٣ - ١٦٤ مانصه :

قوله تعالى ﴿أَنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال :

أحدها: أن رجلا من الأنصار ممن كان يهمل لمناة في الجاهلية — ومناه صنم كان بين مكة والمدينة — قالوا : يا رسول الله إنا كنا لنطوف بين الصفا والمروة تعظيما لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه عروة عن عائشة.

والثاني: أن المسلمين كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة لأنه كان على الصفا تماثيل وأصنام فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس وقال الشعبي كان وثن على الصفا يدعى ايساف، ووثن على المروة يدعى نائلة، وكان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويمسحونهما، وحتى جاء الاسلام كفوا عن السعي بينهما فنزلت هذه الآية.

والثالث: أن الصحابة قالت للنبي ﷺ إنا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة، وإن الله — تعالى — ذكر الطواف بالبيت، ولم يذكره بين الصفا والمروة فهل علينا من حرج أن نطوف بهما فنزلت هذه الآية. رواه الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن جماعة من أهل العلم.

قال ابراهيم بن السرى: الصفا في اللغة: الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تنبت شيئاً، وهو جمع، واحده صفاه، وصفا مثل: حصاه، وحصى والمروة الحجارة اللينة.

وهذان الموضعان من شعائر الله أى: من أعلام متعبده.

وواحد الشعائر: شعيرة.

والشعائر كل ما كان من موقف أو سعى أو ذبح والشعائر: من شعرت بالشئ: اذا علمت به، فسميت الأعلام التي هي متعبدات.

الله: شعائر الله.

والحج في اللغة، القصد، وكذلك كل قاصد شيئاً فقد اعتمره. والجنح : الأثم أخذ من جنح اذا مال وعدل، وأصله من جناح الطاف وانما اجتنب المسلمون الطواف بينهما لمكان الأوثان، فقليل لهم إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لايجب اجتنابهما فأعلم الله عز وجل أنه لاجنح في التطوف بهما وان من تطوع بذلك فإن الله شاكر عليم والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل.

والجمهور قرءوا ومن تطوع بالتاء ونصب العين منهم ابن كثير ونافع وعاصم أبو عمر، وابن عامر.

وقرأ حمزة والكسائي يطوع بالياء وجزم العين، وكذلك خلافهم في التي بعدها بآيات.

فصل: اختلفت الروايات عن امامنا احمد في السعى بين الصفا والمروة فنقل الأثرم أن من ترك السعى لم يجزه حجه. ونقل أبو طالب لا شئ في تركه عمداً أو سهواً ولاينبغي أن يتركه. ونقل الميموني أنه تطوع.

التعقيب

بعد قراءتك معى لهذا النص ترى معى أن الرجل قد التزم المنهج الذي رسمه لنفسه ولم يحد عنه في هذا النموذج.

بيد أنا نلاحظ أنه اختصر الاسناد، ولعله تركه اعتماداً على كتابه المغنى في التفسير، وان كنا لانجزم بذلك لاننا لم نطلع عليه — غير ان ذلك لا يغنى من وجهة نظرنا فكان عليه — على الأقل — ان يذكر من صحاح السنة من أتى بالخبر الذي يذكره، وخاصة انهم اسبق منه وعليهم المعول في هذا وأيضاً فإنه قد اختصر المرويات مكتفياً منها بما يشير إلى سبب النزول ولو أنه اتمها لكانت منها أدلة لما نقله عن الامام أحمد من أحكام، حيث أنه ذكر المروى عن الامام أحمد دون استدلال.

ونرى معاً أن المفسر حين عرض لتفسير النص الكريم ذكر سبب النزول ثم شرح معانى الآية الكريمة لغوياً، وذكر من القراءات ما يجوز به القراءة.

مسئولية الانسان عن عمله

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب، وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾.

(الآية ١٨ سورة فاطر)

يقول في زاد المسير في علم التفسير ٤٨٢/٦ — ٤٨٣ ما نصه.

(قد تقدم بيانه في ابراهيم^(١) ١٩ ، الأنعام^(٢) ١٦٤ إلى قوله

«وإن تدع مثقلة» أي: نفس مثقلة بالذنوب

«إلى حملها» الذي حملت من الخطايا

«لا يحمل منه شيء ولو كان» الذي تدعوه «ذا قربى» ذا قرابة

«إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب» أي : يخشونه ولم يروه، والمعنى

انما تنفع بإندارك أهل الخشية فكانك تنذرهم دون غيرهم، لما كان

اختصاصهم بالانتفاع «ومن تزكى» أي تطهر من الشرك والفواحش، وفعل

الخير.

﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ أي: فصلاحه لنفسه، ﴿وإلى الله المصير﴾ يجزى

بالأعمال.

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير ٣٥٤/٤ وبالنظر في تفسير الآية (١٩) لم نرى ارتباطا بين مانحن بصدده من سورة فاطر وماذكر في إبراهيم ولعل الارتباط بين الآيات التالية بعدها هو المقصود.

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير ١٦٢/٣ يقول قوله تعالى ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها﴾ أي لا يؤخذ سواها بعملها وقيل المعنى: إلا عليها عقاب معصيتها ولها ثواب بعضها ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ قال الزجاج لا تؤخذ نفس أئمة باثم أخرى والمعنى لا يؤخذ أحد بذنب غيره.

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج الذي عرضناه لك يتضح لك أن المصنف رحمه الله نهج في تفسيره للنص الكريم منهجاً لغوياً حيث شرح دلالة المفردات ثم أجلى المعنى بأسلوب واضح. ولقد أحالنا إلى موضعين :

الأول الآية ١٩ سورة ابراهيم وبرجوعنا إليها، لم نر فائدة لها صلة بنصنا هذا، ونحن نرى أن الآيتين اللتين تلتا هذه الآية من سورة ابراهيم من قوله تعالى ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ إلى قوله تعالى ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (الآية ٢١ - ٢٢) لهما نوع ارتباط في المعنى مع نصنا هذا.

الثاني : الآية ١٦٤ من سورة الأنعام، والمعنى المذكور قد نقلناه لك حتى لا نحيلك عليه ونراه معنى لغوياً كما في نصنا هذا. والمصنف لم يذكر لنا آثاراً للسابقين في هذا المعنى، ولعله رأى أن دلالة الألفاظ واضحة لا تحتاج إلى بيان. ولا يغيب عنك أننا في منهج التفسير بالأثر المختلط بالرأى.

النموذج الثالث

في القصص القرآن

قال تعالى : ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب، إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق، ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط. إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة فقال، أكلفنيها وعزنى في الخطاب، قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وظن داود أنما فتناه، فاستغفر ربه، وخر راكعا، وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾.

(الآيات من ٢١ — ٢٤ سورة ص)

انظر زاد المسير في علم التفسير ١٢٢/٧ — ١٢٤.

وبعد قراءتك للنص في زاد المسير في علم التفسير ترى :
أولاً : ان المصنف رحمه الله ذكر خمسة أقوال للناس في فتنة داود عليه السلام ورجح منها ما يليق بمقام النبوة

ثانياً : انه لا يعد كثيرا عما رأيناه نحن في هذا الجانب، وما ذهب إليه شيخ الاسلام ابن تيمية في الأخذ عن أهل الكتاب وانظر ص ١١١ ومابعداها وأيضاً ص ١٥١، ١٥٧.

ثالثاً : لعلك تدرك أن المصنف رحمه الله حصل المعنى بأقرب طريق، وبذل وسعه في الذود عن حياض المفسرين من المسلمين مما يقوله من لا يعي وذلك واضح في حسن اختياره لما قيل في فتنة داود، ووقوفه عند المعقول مما يناسب شرف كلام الله ومكانة أنبيائه.

التعليق العام

بعد قراءتك لهذه النماذج الثلاث نرى :

١ — أن المؤلف رحمه الله التزم المنهج الذي رسمه لنفسه وقد وضحناه لك.

٢ — المؤلف حرص على معالجة النص القرآني بوضوح، يتناسب وصفاء نفسه التي حدثناك في سيرته، كما ذكرنا لك في ترجمته.

٣ — المفسر من علماء القرن السادس وليس من علماء القرون الأولى التي وصفت بالخيرية مما يدل على أن علماء التفسير قد تحلوا بالجوانب الايمانية، وهذا من الله فضل عظيم يختص به من يشاء لحفظ كتابه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ٩ الحجر.

ولذا فإنك تجد أنهم فيما نقلوا، كانوا ممحصين بمنهج علمي وثيق الصلة بالايمان، واضح القواعد لمن أراد معرفة الحق.

٤ — تراه عند ذكر الأحكام الفقهية يجنح إلى ما روى عن الامام أحمد، ولا شيء في ذلك لأن الامام أحمد في افتائه يعتمد على السنة كثيراً.

٥ — ذكر مشهور القراءات في الذي ذكرناه لك من نماذجه غير أنه ذكر بعض شواذها في ثانيا تفسيره بصفة عامة.

وبعد، فإنه ينبغي التنبيه إلى أمور منها :

١ — أن الامام ابن الجوزي لم يعز لنا ما رواه من آثار عمن روى عنهم — مع ثقتنا بحفظه — وكان من الخير عز والآثار إلى أصحابها كما رأيت في الدر المنثور أو يذكر لنا الرواه كما صنع الامام الطبري.

٢ — أغفل بعض الآثار الصحيحة التي رويت موضحة للمعنى المقصود، وعلى سبيل المثال النموذج الثاني، وبالمقارنة بينه وبين سابقه في ذكر هذا النموذج عندهما يتضح لك ذلك.

٣ — من المهم أن نبين لك ما اعتمد عليه الامام ابن الجوزي في تأليف كتابه من المراجع وهي كما يلي :

- (أ) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري.
 (ب) مشكل القرآن لابن قتيبة، وكذا غريب القرآن له أيضا.
 (ج) معاني القرآن للفراء.
 (د) معاني القرآن للزجاج.
 (هـ) الحجة لأبي على الفارس.
 (و) مجاز القرآن لأبي عبيدة.
 (ز) كتاب المصاحف لابن الأنباري.
 (ح) اسماء الله الحسنى للخطابي.

٤ — مما تجدر الإشارة إليه بيان لقدر هذا الكتاب — أن شيخ الإسلام بن تيمية قد استفاد منه في بعض الآيات التي تناولها بالتفسير. يقول الدكتور ناصر بن محمد الحميد: (وقد استفاد ابن تيمية من تفسير ابن الجوزي كثيراً، ويمكن أن يكون في مقدمة التفاسير التي كان يستفيد منها عندما يكتب عن التفسير، والغالب أنه لا يستفيد من هذا التفسير إلا في مجال عرض الآراء حول الآيات التي يفسرها، وهو ما يميز به تفسير ابن الجوزي حيث أنه يحشد فيه كل ما يجده من أقوال في التفسير مع عدم التعليق عليها في الغالب. ولقد ذكر الدكتور ناصر الحميد أمثلة توضح مدى استفادة شيخ الإسلام من تفسير ابن الجوزي مع بيان منهج شيخ الإسلام في الأخذ عنه^(١)).

(١) انظر ابن تيمية ومنهجه في تفسير القرآن ٣٧٨/١ وما بعدها.

رابعاً تفسير القرآن العظيم لابن كثير

مؤلف هذا الكتاب

هو الامام المحدث الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير القصرى البصرى.

مولده: ولد سنة ٧٠٠ هـ على الأرجح وقيل ٧٠١ هـ بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق.

نشأته وثقافته :

لقد نشأ الحافظ بن كثير في بيت علم فوالده من علماء الشافعية العاملين، تفقه على الشيخين برهان الدين الغزاري، وكمال الدين قاضي شبة، ثم صاهر الحافظ أبا الحجاج المزى، ولازمه وأخذ عنه تأثر بشيخ الاسلام ابن تيميه وناضل عنه واتبعه في كثير من آرائه وكان يفتى برأيه في مسألة الطلاق وامتنح بسبب ذلك وأوذى كثيراً.

مصنفاته :

المؤلف رحمه الله غنى بالتصنيف منذ سن مبكرة ومن أشهر كتبه التي بين يدينا كتاب التاريخ المسمى «البداية والنهاية» وهو كتاب غنى عن التعريف وكتاب التفسير الذي نحن بصدد الحديث عنه.

وذكر اصحاب التراجم كتباً كثيرة تراجع في مظانها عند أهل التراجم.

مكانته العلمية

قال عنه شيخه في المعجم المختص (فقيه متفنن ومحدث متقن ، ومفسر نقاد).

وقال تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجرى (كان أحفظ من أدركنا، لمتون الأحاديث وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان قرناًؤه

وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئاً كثيراً من الفقه والتاريخ قليل النسيان، وكان فقيهاً جيد الفهم صحيح الذهن ويحفظ «التنبيه» إلى آخر وقت، ويشارك في العريه مشاركة جيدة، وينظم الشعر.

وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددى إليه إلا واستفدت منه). وقال ابن حجر: (كان كثير الاستحضار، وصارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع به الناس بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالى، وتميز العالى من النازل ونحو ذلك من فنونهم، وانما هو من محدثى الفقهاء ويدفع السيوطى عنه مقوله ابن حجر فيقول: (قلت: العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله، واختلاف طرقه ورجاله جرحاً وتعديلاً وأما العالى والنازل ونحو ذلك فهو من الفضالات لا من الأصول المهمة).

ونحن لانسلم للسيوطى في قوله (وأما العالى والنازل ونحو ذلك فهو من الفضالات لامن الأصول. وذلك لأمرين.

الأول : مذكروه الامام أحمد ابن حنبل حيث يقول : (طلب الاسناد العالى سنة عَمَّن سلف).

الثاني : ان جمهور العلماء على أن العلو أفضل من النزول على الصحيح وقد يفضل النزول العلو اذا تميز الاسناد النازل بفائدة كأن يكون رجاله أوثق من رجال الاسناد العالى، أو احفظ أو افقه.

كما لانسلم أيضاً لابن حجر مقولته عن ابن كثير أنه لا يميز العالى من النازل وذلك اعتماداً منا على شهادة شيخه له، وشهادة تلميذه له كذلك.

اخلاقه: كان رحمه الله له من الفضل مالا ينكره أحد من عقلاء الناس، ومن له غيره على دينه يشهد لذلك ما حدثناك عنه عن امتحانه وما أودى فيه من خلال وفائه لشيخ الاسلام ابن تيمية.

وفاته^(١): توفى في شعبان سنة ٧٧٤هـ جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيراً.

(١) انظر: البدر الطالع ١٥٣/١ ذيل نذكرة الحفاظ ٥٧، ٣٦١.
شذرات الذهب ٢٣١/٦ النجوم الزاهرة ١١/١٢٣.
طبقات الحفاظ ٥٢٩ — ٥٣٠ طبقات المفسرين للداؤدي ١١٠/١ — ١١١.
تيسير مصطلح الحديث ١٨٠ — ١٨٣.

تفسير القرآن العظيم ومنهج مؤلفه فيه

ان كتاب تفسير القرآن العظيم يعتبر من الأهمية بمكان فهو من أشهر الكتب التي تجمع بين تفسير القرآن الكريم بالقرآن، وتفسير القرآن بالآثار عن رسول الله ﷺ وعن سلف الأمة معزوه إلى أصحابها، مع بيان صحيحها من غيره، على ضوء ماقرره أهل الجرح والتعديل.

ولقد طبع هذا التفسير مع معالم التنزيل للبغوي. ثم طبع مستقلاً في أربعة اجزاء من الحجم الكبير ملحقاً به كتاب فضائل القرآن بمطبعة الحلبي وقد قامت دار الشعب بطبعه في ثمانية مجلدات محققاً.

وقد قام الأستاذ أحمد شاكر بطبعه بعد تجريده من الأسانيد، ومع ما يبذله المحقق من جهد فانه وان كان رفع الأسانيد تيسيراً على البعض فان حاجة أهل العلم إلى الاسناد أولى وأحق.

يقول السيوطي عنه: (التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله)^(١). ويقول الدكتور الذهبي: (ومما يمتاز به ابن كثير أنه ينبه إلى ما في التفسير المأثور من منكرات الاسرائيليات ويحذر منها على وجه الاجمال تارة، وعلى وجه التعين والبيان لبعض منكراتها تارة اخرى ...

ويقول أيضاً: ونجد ابن كثير يرجح بعض الأقوال على بعض ويضعف بعض الروايات ويصحح بعضها آخر منها، ويعدل بعض الروايات ويجرح بعضها آخر وهذا يرجع إلى ما كان عليه من العرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال)^(٢).

ويقول الشيخ مناع القطان قال فيه محمد رشيد رضا (هذا التفسير من أشهر كتب التفسير في العناية بما روى عن مفسري السلف، وبيان ما في

(١) طبقات الحفاظ ص ٥٣٠.

(٢) التفسير والمفسرون ١/ ٢٤٤ - ٢٤٥.

الآيات واحكامها وتحاش ما أطال به الكثيرون من مباحث الاعراب ونكت فنون البلاغة أو الاستطراء بعلوم أخرى لا يحتاج إليها في فهم القرآن ولا التفقه فيه ولا الاعتاظ .

ومن مزاياه العناية، بما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن وهو أكثر ما عرفنا من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى، ويلى ذلك فيه الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية وبيان ما يحتاج به منها، ويليهما آثار الصحابة وأقوال التابعين ومن بعدهم من علماء السلف.

ومنها تذكيره بما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات وتحذيره منها بالأجمال وبيانه لبعض منكراتها بالتعيين، وياليتها استقصى ذلك، أو ترك إيراد ما لم تتوفر فيه داعية التمحيص والتحقيق^(١).

الدواعى إلى تأليفه :

ذكر ابن كثير — رحمه الله داعى العناية بالتفسير عند المسلمين في بداية مقدمة إذ يقول (فالواجب على العلماء الكشف عن معانى كلام الله وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ﴾ ولا تكتفونه، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ الآية ١٨٧ سورة آل عمران.

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية ٧٧ سورة آل عمران.

قدم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا لأعراضهم عن كتاب الله المنزل عليهم، وإقبالهم على الدنيا، وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب

(١) مباحث في علوم القرآن ٣٨٦ — ٣٨٧.

الله. فعلينا أيها المسلمون — أن ننتهي عما ذمهم الله — تعالى — به وأن تأمرنا بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا، ونفهمه ونفهمه، قال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون أعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قدينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الحديد.

ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيى الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي والله المؤمل المسئول أن يفعل بنا هذا انه جواد كريم^(١).

منهجه في التفسير:

يحدثنا ابن كثير عن منهجه فيقول (فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير فالجواب ان أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن^(٢)) إلى ... آخر مقال.

أن ما ذكره الحافظ بن كثير منهجا له في تفسيره هو نفس المنهج الذي اعتمدته شيخ الاسلام بن تيمية بنصه تماما كما نقلناه لك سابقا فلا دعي لنقله هنا، وحسبنا أن نقول ان شيخ الإسلام ابن تيمية قد أجاد في اختياره المنهج، وقد أجاد بن كثير في إيمانه به، ويعتبر تفسير ابن كثير — فيما نعلم — أول تطبيق عملي لمنهج شيخ الاسلام ابن تيمية في القرآن كله. مع ما تميز به من حسن العرض وتحقيق المنهج الذي آمن به والامام الحافظ ابن كثير وان كان لم يعزما ذكره إلى شيخ الاسلام ابن تيمية فانا قد حدثناك عن الصلة بينهما وما ترتب عليها من ايداء لابن كثير ونحن — على كل حال — نرى أن ذلك وفاء من ابن كثير للمنهج وصاحبه حيث بتفسيره قد أوضح لنا

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٠٣/١.

صحة هذا المنهج وسلامته عن الانحراف فجزى الله شيخ الاسلام ابن تيميه
والحافظ ابن كثير عن المسلمين خير الجزاء جزاء من ربك عطاء حسابا.

ولقد أورد ابن كثير في مقدمة كتابه علوما لاغنى عنها لطالب معانى
القرآن الكريم وكذا في فضائله فاقراً مقدمته ١/١ — ٨ وفضائل القرآن وهو
ذيل تفسير الحافظ ابن كثير وضعه في آخر التفسير وجعله متمماً له ضمن
الجزء الرابع.

وهاك بعض النماذج التطبيقية ليتضح لك منهجه، ونقارن بينه وبين سابقه
من مناهج أصحاب التفسير بالمأثور مختلطا بالرأى.

النموذج الأول

في الاحكام

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكراً عليم﴾.
(الآية ١٥٨ سورة البقرة)

قال في تفسير القرآن العظيم ١/١٩٨ — ٢٠٠ مانصه:
(قال الامام أحمد: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي أنا ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عروه عن عائشة قال: قالت أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾. قلت فوالله ما على أحد جناح أن لايطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت باین اختی انها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه ان لايطوف بهما، ولكنها انما انزلت ، ان الأنصار كانوا قيل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدوها عند المشلل، وكان من أهل لها بتخرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله انا كنا نتخرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ قالت عائشة: ثم قدسن رسول الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما أخرجاة في الصحيحين.

وفي روايه عن الزهري أنه قال: حدثت بهذا الحديث أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام. فقال: إن هذا العلم ماكنت سمعته، ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يقولون: ان الناس — الا من ذكرت عائشة — كانوا يقولون: إن طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية، وقال آخرون:

من الأنصار: انما أمرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾. قال أبو بكر بن عبد الرحمن فلعلها نزلت في هؤلاء وهؤلاء.

ورواه البخارى من حديث مالك عن هشام بن عروه عن ابيه عن عائشة بنحو ما تقدم ثم قال البخارى: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان قال: سألو أنسا عن الصفا والمروة قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الاسلام امسكنا عنهما فأنزل الله عز وجل ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾.

وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس قال كانت الشياطين تعزف^(١) بين الصفا والمروة الليل كله، وكانت بينهما آله فلما جاء الاسلام سألو رسول الله ﷺ عن الطواف بينهما، فنزلت هذه الآية^(٢).

وقال الشعبي: كان اساف على الصفا، وكانت نائلة على المروة وكانوا يستلمونهما فخرجوا بعد الاسلام من الطواف بينهما فنزلت هذه الآية.

قلت: «ذكر محمد بن اسحاق في كتاب السيرة^(٣) إن اسافا، ونائلة كانا بشرين فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجرتين، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس فلما طال عهدهما عبدا، ثم حولا إلى الصفا والمروة، فنصبا هنالك فكان من طاف بين الصفا والمروة يستلمهما، ولهذا يقول أبو طالب في قصديته المشهورة:

وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم .. لمفضى السيول من إساف ونائل

وفي صحيح مسلم جاء حديث جابر الطويل وفيه ان رسول الله ﷺ لما

(١) في الأصل تفرق ولكن عند القرطبي تعزف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧٩/٢.

(٣) سيرة بن هشام ٨٥/١، والذي في النسخ التي بين أيدينا: أحدثنا «بد لكلمة فزنيا».

فرغ من طوافه بالبيت عاد إلى الركن، فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله﴾ ثم قال «أبدأ بما بدأ الله به». وفي رواية النسائي: ابدعوا بما بدأ الله به.

وقال الامام احمد: حدثنا شريح حدثنا عبدالله بن المؤمل عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة عن حبيب بن أبي تجراه قالت رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسعى حتى أرى ركبته من شدة السعي يدور به ايزاره وهو يقول «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي».

ثم رواه الامام احمد عن عبد الرزاق، أنا معمر عن واصل مولى ابي عيينه عن موسى ابن عبيدة عن صفية بنت شيبة ان امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي ﷺ بين الصفا والمروة يقول «كتب عليكم السعي فاسعوا».

وقد استدلل بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه، وراية عن أحمد وهو المشهور عن مالك وقيل إنه واجب وليس بركن فإن تركه عمداً أو سهواً جبره بدم وهو رواية عن احمد وبه يقول طائفة.

وقيل بل مستحب وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين وروى عن انس وابن عمر وابن عباس ، وحكى عن مالك في العتية، قال القرطبي^(١) واحتجوا بقوله تعالى ﴿فمن تطوع خيراً﴾ .

والقول الأول ارجح لأنه عليه السلام طاف بينهما وقال: «لتأخذوا عني مناسككم؟ فكل ما فعله في حجته تلك واجب لا بد من فعله في الحج إلا ماخرج بدليل والله أعلم وقد تقدم قوله عليه السلام «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي».

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٢.

فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله، أى مما شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحج وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وتردادها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها لما نفذ مأوئهما، وزادهما حين تركهما إبراهيم عليه السلام هنالك وليس عندهما أحد من الناس، فلما خافت على ولدها الضيعة هنالك وفقد ما عندهما قامت تطلب الغوث من الله — عز وجل — فلم تزل تتردد بين هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذلة خائفة وجللة، مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل حتى كشف الله كربها وأنس غربتها وفرج شدتها، وانبع لها زمزم التى مأوئها طعام طعم وشفاء سقم»^(١).

فالساعى بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وأن يلتجئ إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب وأن يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يثبته عليه إلى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام.

وقوله ﴿فمن تطوع خيراً﴾ قيل زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ثامنة وتاسعة ونحو ذلك، وقيل يطوف بينهما في حجة تطوع أو عمرة تطوع، وقيل المراد تطوع خيراً في سائر العبادات حكى ذلك الرازى^(٢) وعزا الثاني إلى الحسن البصرى والله أعلم.

وقوله: ﴿فإن الله شاكر عليم﴾ أي يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا ييخت أحد ثوابه ﴿ولا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٢.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ١٦١/٤.

(٣) من الآية ٤٠ من سورة النساء.

التعقيب

يعد قراءتك للنموذج الذي عرضناه لك تبصر أن المؤلف — رحمه الله —
— التزم منهجه وذلك يتضح فيما يأتي ...

١ — ذكر من الآثار الصحاح ما يوضح المعنى المفاد من النص غير أنه يبدأ
بذكر نص كامل، ثم يأخذ عن غيره موطن الأستشهاد وفي كل يعزو
كل نص إلى الكتاب الذي ذكره.

٢ — لم يشغل نفسه بدلالات لغوية للألفاظ غير ما تدل بوضعها عليه في
النص الكريم.

٣ — ذكر الأقوال الفقهية التي قالها العلماء في حكم السعى بين الصفا
والمروة ورجح أنه ركن من أركان الحج غير أنه نسب إلى أبي حنيفة
ما لم يعرف عنه ولم يذكر لمفسر غيره فيما نعلم.

٤ — لم يتعرض للقراءات المتواترة أو غيرها.

النموذج الثاني

مسئولية الإنسان عن عمله

قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾ .
(الآية ١٨ من سورة فاطر)

قال في تفسير القرآن العظيم ٥٥١/٣ — ٥٥٢ مانصه .
﴿قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي يوم القيامة .

﴿وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ أي ان تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تساعد على حمل ماعليها من الأوزار أو بعضها .

﴿لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ أي وان كان قريباً إليها حتى ولو كان أبوها أو ابنها كل مشغول بنفسه وحاله .

قال عكرمة في قوله تعالى ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ الآية قال هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يارب: سل هذا كان يغلق بابہ دوني، وان الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له يا مؤمن ان لي عندك يداً قد عرفت كيف كانت لك في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو في النار، وان الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني: أي والد كنت لك فيشني خيراً، فيقول له يا بني: اني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى فيقول له ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل ماتخوف فلا أستطيع أن اعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجه فيقول يا فلانة أو ياهذه: أي زوج كنت لك

فتشني خيراً فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تهيبها لي لعلني أنجو بها مما ترين قال: فتقول ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً إني اتخوف مثل الذي تتخوف يقول الله تعالى ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ الآية ويقول تبارك وتعالى: «لايجزى والد عن ولده، ولامولود هو جاز عن والده شيئاً».

ويقول تعالى ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ رواه ابن أبي حاتم رحمه الله عن أبي عبد الله الزهراني عن حفص عن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمه به ثم قال — تبارك وتعالى ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ أي إنما يتعظ بما جئت به أو لوا الأبصار والنهي الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به.

﴿ومن تزكى فإنما يتركي لنفسه﴾ أي ومن عمل صالحاً فإنما يعود نفعه على نفسه ﴿وإلى المصير﴾ أي وإليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب ويجزي كل عامل بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر.

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج ترى أن المؤلف رحمه الله تعالى: قد بدأ بشرح معاني الآيات حسب ألفاظها دون الدخول في نواحي لغوية.

ثم ذكر من الآثار ما يشهد لما فسر به ذاكرًا من رواه وقد سبق لنا أن خرجناه لك في عرضنا لهذا النموذج من كتاب الدر المنثور فارجع إليه كما تراه قد ذكر ضمن الأثر من الآيات ما يدل لمعناه سيراً وراء منهجه تفسير القرآن بالقرآن.

ولعلك تلاحظ معنا أن تفسير المؤلف للنص الكريم قد سار فيه بأسلوب يفيد أهل العلم وغيرهم.

وترى معنا أن النص لا يحتاج أكثر مما ذكره المصنف رحمه الله تعالى.

النموذج الثالث

القصص القرآني

قال تعالى ﴿وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب، اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق، ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجه ولي نهجة واحدة، فقال : أكفلنيها وعزني في الخطاب، قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه، وخر راكعا، وأناب﴾.

(الآيات ٢١ — ٢٤ سورة ص)

انظر في ذلك تفسير القرآن العظيم ٣٠/٤ — ٣٣

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج ترى :

١ — أن المصنف ضرب صفحا عن ذكر الروايات المنسوبة إلى أهل الكتاب بصفة عامة لأنه لم يثبت فيها نص عن المعصوم عليه السلام، وقد سبق أن بينا لك أن في موقفه عصمة من الزلل.

٢ — انه يرى الاختصار على مجرد التلاوة فيها وأن يُرد علمها إلى الله عز وجل.

٣ — تعرض المصنف لحكم سجدة ص وهل من عزائم السجود أم هي سجدة شكر واختار الثاني مؤيداً ماذهب إليه بالآثار مبينا درجتها.

التعليق العام

بعد اطلاعك على هذه النماذج الثلاثة من تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير وما عقبنا به على كل نموذج منها نجمل لك مانراه من اتباع الرجل لمنهجة حتى تبين لك المنهج ضمن منهج أصحاب التفسير بالأثر مختلطاً بالرأى:

أولاً :الرجل فسر القرآن بالقرآن في المواضع التي احتاجت إلى ذلك.

ثانياً :حرص على أن يذكر الآثار التي توضح المعنى معتمداً على صحيحها، ويلجأ إلى ذكر نص كامل لاثـر منها ثم يأخذ من باقى الآثار الأخرى موطن الاستشهاد.

ثالثاً :يهتم الرجل بنقد السند حتى يميز الاسانيد التي يحتج بها من غيرها. وهذا يدل على مزيد علمه بالرجال وأحوالهم وفنون علم الحديث كما ذكرنا لك في ترجمته.

رابعاً :نراه غير مشغول بالاستعمالات اللغوية بصفة عامة لكنك تراه يقترب من النص بأيسر طريق واضعاً أمامه منهج رسول الله ﷺ وصحابته، فهو بذلك — برغم أنه من علماء القرن الثامن — قد ربط ماضى الأمة بحاضرها الذي عاصره، مبيناً أهمية هذا المسلك في التفسير في كل عصر.

خامساً :له منهج مستقل فيما ينقل عن أهل الكتاب.

سادساً :يعرض للأحكام الفقهية — فيما يعرض منها — ثم يختار منه مايرجحه ذاكر دليل مايزهـب إليه.

بهذا المنهج يطمئن العالم وغيره إلى تفسير ابن كثير، ونبه بذلك إلى أننا لسنا مع اختصار مثل هذه الكتب التي بينا قدرها، وخدمة هذه الكتب انما تكون بإكمال ما عساه يكون قد تركه المؤلف.

خامساً : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي

التعريف بمؤلف الكتاب:
هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد
نوح بن محمد سيدى أحمد المختار الجكنى الشنقيطي.
وهذه النسبة لقرية من أعمال مديرية أطار في أقصى موريتانيا في الشمال
الغربي.

مولده :
ولد رحمه الله في عام ١٣٢٥ هـ عند ماء يسمى تنية من أعمال مديرية
كيفا من القطر المسمى شنقيط — موريتانيا الإسلامية الآن —

نشأته وثقافته :
نشأ رحمه الله في بيت علم فأهله وذووه لهم باع طويل في العلم وفنونه
فيما كانوا يهتمون به ويحفظون منه الكثير من منشوره أو منظومه على حد
سواء.

وكانوا يتميزون بحفظهم لعروبتهم ودينهم فينطقون بفصح العربية،
ويستمسكون بتعاليم الإسلام في حياتهم الخاصة والعامة فهم صورة صادقة
للعربي المسلم يقول عن نفسه: وتوفى والدى وأنا صغير أقرأ في جزء (عم)
وترك لى ثروة من الحيوان والمال، وكانت سكناي في بيت أخوالي، وأمى
ابنة عم أبى وحفظت القرآن على خالى عبد الله بن محمد المختار بن
ابراهيم بن أحمد نوح جد الاب المتقدم،.

طلبه للعلم :
حفظ القرآن الكريم على خاله كما ذكرنا وأتمه وهو ابن عشر سنوات،
قال رحمه الله (ثم تعلمت رسم المصحف العثماني — المصحف الأم —

عن ابن خالى سيد بن محمد بن أحمد بن محمد المختار، وقرأت عليه التجويد في مقراً نافع برواية ووش من طريق أبى يعقوب الأزق، وقالون من رواية أبى نشيط، وأخذت عنه سنداً بذلك إلى النبى ﷺ وذلك وعمري ست عشرة سنة وهذه الدراسة للقرآن الكريم لم تكن للحفظ والأداء فقط، بل كانت منهجاً متكاملًا في حفظ القرآن تناول رسم المصحف، من جهة ما كان موصولاً أو مفصولاً ومارسم فيه المد، وما كان يمد بدون وجود حرف المد، وأيضاً كان بجانب هذا ينهل من بعض علوم المعرفة التي لاغنى عنها لطالب العلم، ويحدثنا عن ذلك فيقول: وفي أثناء هذه القراءة درست بعض المختصرات في فقه مالك كرجز الشيخ بن عاشر، وفي أثنائها أيضاً درست دراسة واسعة في الأدب على زوجة خالى، أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية، وتمرينات ودروس واسعة في أنساب العرب وأبائهم، والسيرة، ونظم الغزوات لأحمد البدوى الشنقيطي وهو يزيد على خمسمائة بيت، وشرح ونظم عمود النسب للمؤلف، وهو يعد بالآلاف.

ومع هذا فقد درس الفقه أيضاً والصرف والأصول والبلاغة وبعض التفسير على جماعة، يقول عن نفسه: (...) وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل فنون النحو والصرف والأصول والبلاغة، وبعض التفسير والحديث أما المنطق وأدب البحث والمناظرة فقد حصلناه بالمطالعة.

مؤلفاته: إن مؤلفات الشيخ رحمه الله كان بعضها في بلدة وبعضه في المملكة العربية السعودية، فمما ألفه في بلده:

- ١ - أنساب العرب.
- ٢ - رجز في فروع مذهب مالك بالعقود من البيوع والرهون.
- ٣ - الفيه في المنطق.
- ٤ - نظم في الفرائض.
- ومما ألفه في المملكة العربية السعودية.
- ١ - منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والاعجاز.
- ٢ - دفع إيهام الأضطراب عن آى الكتاب.
- ٣ - مذكرة الأصول على روضة الناظر.

- ٤ - آداب البحث والمناظرة.
٥ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

وفاته: توفي رحمه الله سنة ١٣٩٣ هـ^(١)

(١) هذه الترجمة مأخوذة من مقدمة أضواء البيان بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة.

أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ومنهج مؤلفه فيه

مازلنا معك أيها القارئ الكريم في منهج التفسير بالمأثور مختلطاً بالرأى، وليكن تفسير أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن آخر عهدنا معك في الكلام من هذا المنهج.

وقد اخترناه للدراسة لأنه معاصر، ونكون بذلك قد وفينا هذا المنهج بعض حقه، حتى تستبين لك طريق كل إمام ممن ذكرنا خاصاً به وفق عرضه لهذا المنهج.

ولنا معك — بعون الله سبحانه وتعالى — لقاء عند التعليق العام على هذا الكتاب وقبل عرضنا للنماذج التي اعتبرناها مقياساً لعرض الكتب نحدثك عن الداعية لتأليف هذا الكتاب ومنهج مؤلفه فيه، من خلال ما ذكره رحمه الله تعالى.

الداعية لتأليف الكتاب :

يقول رحمه الله : (... فإنه لما عرفنا اعراض أكثر المتسمين باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم، ونبذهم له وراء ظهورهم، وعدم رغبتهم في وعده وعدم خوفهم من وعيده، علمنا أن ذلك مما يعين على من أعطاه الله علماً بكتابه أن يجعل همته في خدمته من بيان معانيه، وإظهار محاسنه، وإزالة الاشكال عما إشكل منه، وبيان أحكامه، والدعوة إلى العمل به، وترك كل ما يخالفه^(١).

منهج المؤلف :

يحدثنا الشيخ في كتابه فيقول: (وأعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران :

(١) أضواء البيان ٦٧/١.

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لاجتماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله — جل وعلا من الله جلا وعلا، وقد التزمنا أنا لانيين القرآن إلا بقراءة سبعة، سواء كانت قراءه أخرى في الآية الميينة نفسها، أو آية أخرى أو غيرها، ولا نعلم على البيان بالقراءات الشاذة أو ربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاده للبيان بقراءة سبعة.

وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا، ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات.

والثاني : بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات الميينة — بالفتح — في هذا الكتاب، فإننا نبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة، وأقوال العلماء في ذلك ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين، ولا لقول قائل معين، لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلامه ﷺ ومعلوم ان الحق حق ولو كان قائله حقيراً^(١).

من النقل السابق يتضح منهج الشيخ في كتابه وهو يتلخص فيما يأتي :

- ١ — تفسير القرآن بالقرآن.
 - ٢ — الاعتماد في التفسير على القراءات السبع.
 - ٣ — ذكر القراءة الشاذة للاستشهاد لبيان قراءة سبعة.
 - ٤ — بيان الأحكام الفقهية المستنبطة من الآيات وذكر أقوال العلماء مع بيان أدلة الأحكام من السنة، ثم ترجيح الراجح من وجهة نظره.
- ولتكن النماذج المختارة من هذا التفسير خير عرض لهذا المنهج.

(١) أضواء البيان ٦٧/١ — ٦٨.

النموذج الأول

في الأحكام

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.
(الآية ١٥٨ من سورة البقرة)

لم يتعرض المؤلف لهذه الآية الكريمة رغم أهمية البيان في هذه الآية، وقد وضح لك مما ذكرناه من التفاسير السابقة كلام المفسرين حولها.

وكان من حق القارئ علينا، ومن حق الكتاب أيضاً أن نختار نصاً آخر من نصوص الأحكام التي تعرض لها المؤلف وهي كثيرة — لكننا أثرتنا ترك ذلك للقارئ، واستمسكنا بنماذجنا لأننا كما نهدف إلى توحيد النماذج بيانا لما يعرضه المفسرون من أصحاب المنهج، نهدف أيضاً إلى بيان درجة اتباع المفسرين له.

التعقيب

المؤلف سار على منهجه في عدم تفسير آيات القرآن كاملاً بل فسر بعضه وترك البعض، وكان مما تركه هذه الآية الكريم.

وذلك لأن منهجه رحمه الله تعالى أن يوضح القرآن بالقرآن ولما كانت هذه الآية ليس لها ما يوضحها من القرآن تركها كما ترك غيرها مما شاكلها وهو كثير وهو بذلك قد التزم منهجه وهو ايضاح القرآن بالقرآن.

النموذج الثاني

مسئولية الانسان عن عمله

قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى، وان تدع مثقلة إلى حملها، لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾.
(الآية ١٨ سورة فاطر)

قال في أضواء البيان ٦/٦٤١ — ٦٤٢ مانصه
قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ قد قدمنا الآيات الموضحة له مع الجواب عن بعض الأسئلة الواردة على الآية في سورة بنى اسرائيل في الكلام على قوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا».

وما قاله في سورة بنى اسرائيل هو قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ذكر جل وعلى — في هذه الآية الكريمة أنه لا تحمل نفس ذنب أخرى، بل لا تحمل نفسه الا ذنبها فقوله ولا تزر أي لا تحمل من وزر يزر اذا حمل ومنه سمي وزير السلطان لأنه يحمل أعباء تدبير شئون الدولة، والوزر الاثم، يقال وزر يزر وزرا إذا اثم، والوزر ايضا النقل المثل أي لا تحمل نفس وزر أي آثمة وزر نفس أخرى أي اثمها أو حملها الثقيل بل لا تحمل الا وزر نفسها.

وهذا المعنى جاء في آيات أخرى كقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾.
وقوله: ﴿ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ الآية

وقوله ﴿تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون إلى غير ذلك من الآيات﴾.

وقد قدمنا في سورة النحل^(١) بإيضاح أن هذه الآيات لا يعارضها قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهن، واثقالا مع أثقالهن﴾. الآية، ولا قوله ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذي يضلونهم بغير علم﴾. الآية «لأن المراد بذلك أنهم حملوا أوزار ضلالهم في أنفسهم وأوزار اضلالهم غيرهم لأن من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا كما تقدم مستوفى^(٢)».

قوله تعالى ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء﴾ قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل^(٣) في الكلام على قوله تعالى ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يوزون﴾ ووجه الجمع بين أمثال هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهن واثقالا مع أثقالهن ونحوها من الآيات﴾.

قوله تعالى: ﴿انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن انذاره ﷺ محصور في الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة، وهذا الحصر الاضافي لأنهم المنتفعون بالانذار وغير المنتفعين بالانذار كأنه هو والذي لم ينذر سواء بجامع عدم النفع في كل منهما.

وهذا المعنى جاء موضحا في آيات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب﴾ الآية وقوله: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ ويشبه

(١) أضواء البيان ٢٥٤/٣ — ٢٥٦.

(٢) أضواء البيان ٤٦٩/٣ — ٤٧١.

(٣) أضواء البيان ٢٥٤/٣ — ٢٥٦.

معنى ذلك في الجملة قوله تعالى: ﴿فذكر القرآن من يخاف وعيد﴾ وقد قدمنا معنى الانذار وأنواعه موضحاً في سورة الأعراف^(٤) في الكلام على قوله تعالى: ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾.

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج وما أحالنا الشيخ عليه مما ذكرناه لك يتضح لك ما يأتي :

- ١ — المؤلف رحمه الله قد التزم منهجه في تفسير القرآن بالقرآن.
- ٢ — وفي ذلك قد جمع الآيات التي تربط بمعنى واحد ببعضها مع توجيهه لها. بما يفهم من خلال ربطه للآيات.
- ٣ — ذكر بعض ما يرد على تفسير الآيات مما يظهر أنه مناقض لها ثم رده ببيان عدم التناقض، ومن ثم لجأ إلى السنة النبوية ليدعم بها وجهة نظره.
- ٤ — جمع بين مظاهره عام وظاهره خاص وذلك ببيان وضوح المراد في كل منها.
- ٥ — استعان باللغة وتصريفها لبيان المعنى المراد من النص الكريم كما يفهمه.

(٤) أضواء البيان ٢٨٦/٢ — ٢٨٨.

النموذج الثالث

في القصص القرآني

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسُوْرُوا الْمِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ، قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ، وَلَا تَشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً، وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ: أَكَلْفْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، قَالَ: لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نُعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ الْخِلَاطِاءِ لِيُبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ، فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا، وَأَنَابَ. ، فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَآبٍ.﴾

سورة ص الآيات ٢١ - ٢٥

انظر في ذلك أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٤/٧.
وانظر أيضا أضواء البيان ٥٣٥/٤ - ٥٣٩.

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج في أضواء البيان يتضح لك أن الشيخ قد ضرب صفحا عن الروايات المذكورة في هذا الجانب سالكا مسلك بن كثير وإن كان لم يذكره، بيد أنه قد أحال في هذا البيان إلى سورة طه فما ذكرناه لك وبمراجعتك آياه تجده حول عصمة الانبياء، وأقوال أهل العلم فيها، ثم ذكر رأيه في ذلك.

التعليق العام

هذا التفسير نهج مستقبل لمؤلفه اختار له اسم: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» وظاهر الاسم أن هذا الكتاب ليس من كتب المنهج الذي نتعرض له وهو التفسير الأثرى مخلوطاً بالرأى لأن القرآن ليس أثراً عرفاً والمقصود بالعرف عرف أهل الدراسات القرآنية والشرعية لكننا اخذناه بين ما اخترناه لإيضاح هذا المنهج لما يأتي:

١ — إن إيضاح القرآن بالقرآن هو اجتهاد من المؤلف والمقصود بالاجتهاد أن المؤلف استشعر أن آية في كتاب الله موضحة لآية أخرى في غالب الأمر.

٢ — أن المؤلف تعرض في تفسيره لبعض آيات الأحكام التي ذكرها لأقوال الفقهاء مستدلاً لكل قول من القرآن ومن السنة بما يشهد له ثم اختار قولاً رجع عنده واستدل لرجحانه من القرآن ومن السنة وهذا أيضاً رأى.

٣ — أنه استعمل الدلالات اللغوية لتوضيح المعنى الذي تبادر له ووجده أقرب إلى الصواب.

٤ — أنه يلجأ إلى قواعد بعض العلوم التي ذكرها أصحابها استنباطاً من اللغة ومن الشرع ليوضح بها المعنى الذي فهمه وهذا أيضاً رأى. وعلى هذا فنظراً لأنه استعان بالحديث وبالأقوال المأثورة عند عرض الأحكام ورجح منها ما رجع ساغ لنا أن نجعله ضمن هذا المنهج.

وأما عن منهج المؤلف فقد ذكرناه لك سابقاً وجاءت النماذج بحمد الله معبرة عن المنهج فنراه.

- ١ — يجمع الآيات القرآنية المتحدة المعنى أو المتقاربة فيه في جو واحد يوضح بعضها بعضا ويكمل بعضها بعضا.
- ٢ — أعمال اللغة من خلال الاستعمال القرآني تحقيقاً للبيان. وتوضيحاً للمعنى:
- ٣ — أنه لم يذكر الآيات التي لم توجد لها آيات توضحها في القرآن كما وضح ذلك من النموذج الأول.
- ٤ — المفسر اعتمد على الاحاديث الصحيحة والحسنة في بيان الأحكام، وأشار إلى مراجعها ومواضعها منها.
- ٥ — تعرض المفسر للرجال جرحاً وتعديلاً، وانظر مثالا لذلك فيما أعمل فيه بحثه للرجال ١/٢٣٠ — ٢٣١.
- ٦ — أنه تعرض لمسائل العقائد في ثانيا تفسيره واعتمد فيها على أقوال السلف رضوان الله عليهم.
- ٧ — أنه أضرب صفحا عما ينسب إلى النقل عن أهل الكتاب ولم يوضح لنا شيئا فيه وربما كانت مقولة ابن كثير رحمه الله أسلم للقارئ لأنه دعا القارئ إلى التلاوة مكتفيا بها عن الانشغال بها، ونحب أن نذكر لك اننا وضعنا لك فيما سبق وجهة نظرنا في هذه المسألة حتى لايجرى الأمر فيها على مايفهم من ظاهر كلامهم، ومايترتب عليه.
- ٨ — بين القراءات المتواترة وربط بين معانيها موجهها مابدا مختلفا فيها، وانظر في ذلك كلامه عند قوله تعالى «فجزاء مثل ما قتل من النعم» من سورة المائدة ٢/١٦٨ وانظر أيضا كلامه مع قوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فتيبنوا» من سورة الحجرات ٧/٦١٧ — ٦٢٨.

ولا يسعنا هنا إلى أن نبه إلى أن هذا الكتاب يقع في عشرة أجزاء خص الجزء الأخير منها بالكلام عن «دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب» وقد جمع رحمه الله في هذا الجزء مايمكن أن يقال أن فيه اضطرابا وردده

وذلك من أول القرآن إلى آخره، فهو جمع لما ذكره في ثنايا الأجزاء السابقة في هذا الجزء وربما زاد في هذا الجزء.

كما لا يفوتنا هنا أن ننبه إلى أننا نرى أن هذا التفسير إنما هو تفسير بالاثـر مخلوط بالرأى وليس هو تفسير فقهي كما ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم لأن الرجل فسر فيه ما هو متعلق بالأحكام، وغيره، كما أنه ترك بعض آيات تعلقت بالأحكام كما ذكرنا في النموذج الأول.

تفسير يحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠ هـ

التعريف بمؤلف هذا الكتاب :

هو يحيى بن سلام بن أبى ثعلبة، أبو زكريا البصرى. نزيل المغرب، وسكن إفريقية دهرًا، وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن أدرك نحو من عشرين رجلا من التابعين، وسمع منهم وروى عنهم، كان ثقة ثبتا ذا علم بالكتاب والسنة، ومعرفة اللغة العربية، صاحب سنة يقول أبو العرب في طبقات القيروان (كان مفسرًا، وكان له قدر، ومصنفات كثيرة في فنون العلم، وكان من الحفاظ، ومن خيار الخلف).
توفى سنة ٢٠٠ هـ^(١).

التعريف بالكتاب :

يقع هذا التفسير في ثلاثين جزءا من التجزئة القديمة أي في ثلاث مجلدات ضخمة وتوجد من هذا التفسير ببلاد تونس نسخة عظيمة القدر موزعة الأجزاء، نسخت منذ ألف عام تقريبا، منها مجلد يشتمل على سبعة اجزاء بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة الأعظم، وآخر يشتمل على عشرة أجزاء بمكتبة جامع القيروان ومن مجموعهما يتكون نحو ثلثين من جملة الكتاب، ويوجد جزء لعله يتمم بعض نقص النسخة، وهو من المقتنيات الخاصة لبعض العلماء الأفاضل^(٢) بقول ابن الجزرى نقلا عن الدانى: (....) ليس لأحد من المتقدمين مثله^(٣).

(١) انظر ترجمته في: طبقات القراء لابن الجزرى ٣٧٣/٢، ولسان الميزان ٢٥٩/٦، وطبقات المفسرين للداودى ٣٧١/٢.

(٢) انظر التفسير ورجاله ص ٢٩.

(٣) طبقات القراء ٣٧٣/٢.

منهج المؤلف فيه :

يذكر المؤلف النص القرآني، ثم يعقبه بإيراد الأخبار مسندة، ثم يتبعها بالنقد والاختيار.

وفي عرض الأخبار المروية يفتحها بقوله «حدثنا» ثم يأتي بحكمة الاختيار مفتتحا بقوله «قال يحيى».

ويجعل مبني اختياره على المعنى اللغوي، والتخريج الاعرابي، ويتدرج من اختيار المعنى إلى اختيار القراءة التي تتماشى وإياه مشيراً إلى اختياراته في القراءات،

وله اختيار في القراءة من طريق الآثار لا يبعد أن تكون راجعة إلى قراءة عمر بن العلاء البصري. لأن يحيى بن سلام بصرى النشأة، وإلى طريقته المختارة في القراءة يشير في تفسيره بقوله «والذي في صحفنا»^(١).

وعلى هذا يكون يحيى بن سلام متقدماً على الطبري في هذا النوع من النهج بما يقارب القرن من الزمان.

يقول الشيخ محمد بن عاشور: (ولعل فزادة هذه النسخة التونسية هو الذي يعتذر به الذين أهملوا شأن ابن سلام في مراحل التفسير وإن كان التعريف بها حاصلاً منذ أكثر من خمسين سنة في الجزء الأول من الفهرس التفصيلي للمكتبة العبدلية، وقد أخذت عنها صور لمعهد المخطوطات العربية، وكثير من دور الكتب في المشرق والمغرب)^(٢).

ونعتذر للقارئ الكريم عن إيراد النماذج من هذا التفسير لأنه ليس في مقدورنا الآن عاملين قدر الامكان على وجودها.

رجاء: نرجو من الباحثين في القرآن وعلومه، أن يعملوا على تحقيق هذا الكتاب العظيم الذي يعتبر فتحاً في تاريخ التفسير الأثرى مختلطاً بالرأى..

(١) التفسير ورجاله ص ٢٨.

(٢) نفس المرجع ص ٢٩.

الخاتمة

القرآن كلية الشريعة، وأصلها الأصيل، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، مشتملا على غايات ووسائل إلى هذه الغايات — لذلك كان الاهتمام ببيانه مهمة جلييلة القدر تولاهما رسول الله ﷺ، وصحابته والمسلمون من بعدهم، قياما بواجب كفائي، حتى تبرأ ذمتهم مما عهد إليهم ليتعبدوا الله به.

وخلاصة ما بيناه لك — فيما سبق — ما يأتي:

- ١ — بينا لك المقصود بالمناهج، وبيان معنى التفسير والتأويل، ومدى الحاجة إلى علم التفسير، كما وضعنا لك ما يحتاج إليه المفسر من أدوات، وبيننا لك أن النبي ﷺ علم بما في القرآن كله برهان ذلك قوله جل ذكره ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه، وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إنا علينا بيانه ﴾ — القيامة الآيات ١٦ — ١٩ ولقد علم النبي ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم ما سألوه عنه.
- ٢ — بينا لك مصادر التفسير في العصر الأول وهي تتمثل في:

- (أ) القرآن الكريم.
- (ب) ما وضعه النبي ﷺ لصحابته إجابة لهم عما سألوا عنه.
- (ج) اجتهاد الصحابة.
- (د) أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومدى الأخذ عنهم وطبيعته، مع بيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من هذا المصدر وعالجنا لك هذا الجانب من خلال مقارنه — عرضناها — بين ما أخذه أهل التفسير، وبين ما هو مدون عند أهل الكتاب مبينين لك الحق في هذا الجانب حسب اعتقادنا ولقد ترجمنا لمن نقل

عنهم ممن أسلموا من أهل الكتاب مبينين حسن إسلامهم
وثقتهم وعدالتهم.

٣ — بينا لك المفسرين من الصحابة — مترجمين لكل منهم — مع بيان
حكم تفسير الصحابي، كما ذكرنا لك خصائص التفسير في هذا
العصر.

٤ — بينا لك مصادر التفسير في عصر التابعين، وذكرنا لك أنها بعينها
مصادر التفسير في العصر الأول إلا أنهم توسعوا في:
(أ) الاجتهاد.

(ب) الأخذ عن أهل الكتاب.
كما بينا لك المدارس التفسيرية في هذا العصر، ذاكرين من قامت
على كواهلهم هذه المدارس، ثم بينا لك قيمة التفسير عن التابعين
وخصائصة.

٥ — توصلنا إلى أن التفسير مرّ بمراحل هي:
(أ) مرحلة التلقي والتلقين حيث لقن النبي ﷺ الصحابة، وتلقى منه
الصحابة رضى الله عنهم — وكذا الحال بعد ذلك بالنسبة
للمراحل الزمنية التي أعقبت عصر الصحابة.
(ب) مرحلة الجمع: جمع التفسير في هذه المرحلة على أنه باب من
أبواب الحديث.

(ج) مرحلة الانفصال: وفي هذه المرحلة انفصل التفسير عن
الحديث بالتدوين الكتابي مشيرين إلى أول من بدأ ذلك،
على أن ما جمع مع الحديث بقى كما هو إلى يوم الناس هذا،
غاية ما هنالك أن التفسير أخذ تدويناً مستقلاً مبين أن أقدم
ما عرف عن التدوين الكتابي كان على يد عبد الله بن عمرو بن
العاص، وذكرنا لك أن أول تفسير سار على ترتيب المصحف
— في مبلغ علمنا — هو تفسير سعيد بن جبير.

(د) مرحلة رفع الأسانيد، وما انبثق عنها من تفاسير مختلفة، مشيرين إلى أنواع منها، ثم أفردنا من بينها التفسير الكونى نظراً لأهميته من حيث كثرة الكلام فيه في هذا العصر.

٦ — قسمنا التفسير إلى نوعين :

(أ) التفسير الأثرى (ب) التفسير بالرأى.
ووضحنا المقصود بالتفسير الأثرى، ومتى نشأ، ومقدار الثقة به وأهم الكتب المؤلفة فيه، وفصلناه إلى منهجين.

أحدهما: التفسير الأثرى المجرد، وبيننا فيه ما يعتمد عليه من جهة السند والتمن وقد فصلنا لك القول. في اثبات اتصال مراحل التفسير وفي ذلك ردنا على من زعم ضياعه في المرحلة الأولى.
وقد تبين لنا من خلال عرض نماذج هذا اللون صحة عزو الأخبار إلى مصادرها وعقبنا كل نموذج بما يستخلص منه، رابطين بينه وبين منهج صاحبه.

ثانيهما: التفسير بالأثر مخلوطاً بالرأى: وقد عرضناه لك كعرضنا لسابقة ووضحنا خطورة الاعتماد على المستشرقين — على الثقة بعلمائنا من المسلمين وبيننا وجه الحق — في هذه القضية — حسب اعتقادنا.

وهنا يجدر بنا أن ننبه إلى أن ما شتمل عليه القرآن ينحصر في أمرين.
(أ) غابات ، (ب) ووسائل

وأن المفسرين لم يعولوا إلا على الصحيح فيما كان متعلقاً بالغايات وأما الوسائل فقد يكون فيها ما هو دون الصحيح، ومثل ذلك مقبول في هذا الجانب مع تأكيدنا على أن القوم لم يعتقدوا صحته.

كما عرضنا لك النوع الثاني وهو التفسير بالرأى مبينين معناه وبيننا منه ما هو محمود وما هو مذموم، ومتى نشأ ومقدار الثقة به.

٧ — لم تتضح لنا الصلة بين كتاب «الدر المنثور» للسيوطي وبين ما تمناه من اختصار تفسير «جامع البيان في تفسير القرآن للطبري» حيث أننا لم نعثر على هذا الاختصار في مصنفات السيوطي، وذكرنا ما يدور بذهننا في هذا المجال، آملين أن يحقق بعض الباحثين القول في هذا الموضوع.

ولعلنا قد أوفينا غرضنا من هذا الكتاب — بحمد الله — سبحانه —
سائلين إياه العصمة من الزلل وان ينفع به في غرضه، فانه المستعان
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

- ١ - ابن تيمية ومنهجه في التفسير ناصر الحميد رسالة دكتوراة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ.
- ٢ - الاتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي مصطفى الحلبي ١٩٥١م - الطبعة الثانية.
- ٣ - اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث عفت محمد الشرفاوى مطبعة الكيلاني ١٩٧٢م.
- ٤ - احكام القرآن شهاب الدين أبي الفضل وأحمد بن حجر العسقلاني دار المعارف الهند طبعة أولى .
- ٥ - أحكام القرآن عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكنيا الهراس تحقيق موسى محمد علي والدكتور عزت عطية دار الكتب الحديثة - مصر.
- ٦ - إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول محمد بن علي الشوكاني مصطفى الحلبي ١٩٣٧م - مصر.
- ٧ - ارواء الغليل في تخريج احاديث منار السيل محمد ناصر الدين الألباني المكتب الاسلامي بيروت طبع الأولى ١٩٧٧م.
- ٨ - اسد الغابة في معرفة الصحابة ابن الأثير الجزري الوهابية - ١٢٨٠هـ.
- ٩ - الإصابة في تمييز الصحابة احمد بن علي العسقلاني الشرفية ١٩٠٧م.
- ١٠ - الاصلان العظيمان جمال البنا حسان ١٩٨٢م القاهرة.
- ١١ - أضواء لبيان في ايضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطي الرياض المملكة العربية السعودية المطابع الأهلية للأوفست ١٩٨٣.

- ١٢ — اظهر الحق رحمه الله الهندي مطابع اظهار الحق بمصر ١٩٧٨ م.
- ١٣ — الأعلام خير الدين الزركلى دار إحياء التراث بيروت.
- ١٤ — الاكسير في علم التفسير البغدادي — تحقيق عبد القادر حسين المطبعة النموذجية — القاهرة ١٩٧٧ م.
- ١٥ — الأم محمد بن ادريس الشافعى دار المعرفة — بيروت.
- ١٦ — الانتصار لنقل القرآن أبو بكر الباقلانى تحقيق د/محمد زغلول سلام منشأة المعارف — اسكندرية ١٩٧٨ م.
- جامع الترمذي. ابو عيسى الترمذي الاميرية ١٢٩٢ هـ.
- ١٧ — الجرح والتعديل أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى المعارف الهند ١٩٥٢.
- ١٨ — جواهر القرآن أبو حامد — العزالى كردستان العلمية ١٣٢٩.
- ١٩ — الحديث والمحدثون محمد أبو زهو مطبعة مصر ١٣٧٨ هـ الطبعة الأولى.
- ٢٠ — خلاصة تهذيب الكمال صفى الدين الخرجى الخيرية — ١٣٢٢ هـ.
- ٢١ — الدر المنثور في التفسير بالمأثور جلال الدين السيوطى بيروت.
- ٢٢ — زاد المسير في علم التفسير أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى المكتب الاسلامي ١٣٦٤ هـ الطبعة الرابعة.
- ٢٣ — سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة محمد ناصر الدين الألبانى المكتب الاسلامى ١٣٩٨ هـ الطبعة الرابعة.
- ٢٤ — سنن ابن ماجه أبى عبد الله بن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي عيسى الحلبي — مصر.
- ٢٥ — سنن أبى داود أبو داود سليمان بن الأسعث مصطفى الحلبي طبعه الأولى.
- ٢٦ — سنن الدارمى أبو محمد عبد الله دار إحياء السنة النبوية.
- ٢٧ — سنن النسائى أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائى طبعة أولى ١٩٦٤.

- ٢٨ — السنن الكبرى أحمد بن الحسين البيهقي دار الفكر — بيروت.
- ٢٩ — سيرة بن هشام أبو عبد الله محمد بن اسحاق — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد م محمد علي صبيح — مصر.
- ٣٠ — شذرات الذهب عبد الحي بن العماد مطبعة القدس — ١٣٥٠هـ.
- ٣١ — صحيح البخارى البخارى مصطفى الحلبي طبعة أولى ١٩٥٣.
- ٣٢ — صحيح الجامع الصغير محمد ناصر الألبانى المكتب الاسلامى — بيروت.
- ٣٣ — صحيح مسلم بن الحجاج البنا تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى.
- ٣٤ — الضوء الألمع لأهل القرن التاسع شمس الدين الشهاوى القدس ١٣٥٥هـ.
- ٣٥ — طبقات الحفاظ جلال الدين السيوطى الاستقلال الكبرى — القاهرة ١٩٧٣م.
- طبقات الشافعية.
- ٣٦ — طبقات المفسرين جلال الدين السيوطى يحقق محد على عمر ثنيه وهبه — القاهرة ١٩٧٦م.
- ٣٧ — طبقات المفسرين شمس الدين محمد بن على الداودى مكتبة وهبه — القاهرة.
- ٣٨ — غاية النهاية في طبقات القراء شمس الدين الجزرى دار الكتب العلمية — بيروت.
- ٣٩ — غرائب القرآن ورجائب الفرقان نظام الدين النسايرى مصطفى الحلبي ١٩٦٢م.
- ٤٠ — فضائل القرآن أبو عبيد القاسم بن سلام مخطوط — برلين.
- ٤١ — الفهرست ابن النديم الرهبانية — ١٣٤٨هـ.
- ٤٢ — في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق — بيروت — ١٩٧٥م الطبعة الثانية.
- ٤٣ — القرآن المجيد محمود غرة دروزه القيصرية — بيروت.

- ٤٤ — القاموس المحيط مجد الدين الغبرون ابادى المصرية ١٩٣٥ .
- ٤٥ — الكتاب المصنف في الاحاديث والآثار عبد الله بن محمد بن أبى شيبه الدار السلفية — الهند ١٩٧٩ — الطبعة الثانية.
- ٤٦ — كتاب الموضوعات أبو الفرج بن الجوزى تحقيق عبد الرحمن عثمان المكتبة السلفية ١٩٦٦ م.
- ٤٧ — كشف الخفا ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس اسماعيل بن محمد العجلونى.
- ٤٨ — لسان العرب ابن منظور الأميرية — مصر — ١٣٠٢ هـ.
- ٤٩ — لسان الميزان ابن حجر العسقلانى الهند ١٣٣١ هـ .
- ٥٠ — مختصر تفسير ابن كثير محمد على الصابونى.
- ٥٠ — المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن الكريم جولد تسهير تعريب على حسن عبد القادر العلوم ١٩٤٤ — القاهرة.
- ٥١ — مذكرة في علوم القرآن عبد العظيم غباشي .
- ٥٢ — المستدرک على الصحيحين الحاكم النسابورى دار المعرفة بيروت.
- ٥٣ — مسند الامام أحمد أحمد بن حنبل الشبانى المكتب الاسلامى — بيروت — ١٩٧٨ الطبعة الثانية.
- ٥٤ — المعجم الكبير سليما بن أحمد الصرافى الدار العربية للطباع.
- ٥٥ — معرفة علوم الحديث الحاكم النسابوى دار الكتب المصرية ١٩٣٧ م.
- ٥٦ — مقدمة بن خلدون عبد الرحمن بن خلدون الشرقية ١٣٢٧ هـ.
- ٥٧ — مقدمتان في علوم القرآن المستشرق الدكتور آرث حفرى الخانى بمصر — ١٩٧٢ م.
- ٥٨ — مقدمة التفسير الراغب الاصفهانى الجمالية ١٣٢٩ هـ.
- ٥٩ — مقدمة في أصول التفسير تقي الدين ابن تيممة الطرفى دمشق ١٩٣٩ م.
- مناهج تجديد أمين الخولى.

- ٦٠ — مناهج في التفسير مصطفى الصاوى الجوينى منشأة المعارف —
اسكندرية.
- ٦١ — مناهل العرفان محمد عبد العظيم الزرقانى عيسى الحلبي —
القاهرة.
- ٦٢ — منهج الفرقان محمد علي سلامة شبرا مصر ١٩٣٨ م.
- ٦٣ — الموافقات أبو اسحاق الشاطبي م. فرج الله الكرى ١٣٢٥ هـ.
- ٦٤ — الموطأ مالك بن انس — تحقيق محمد عبد الباقي عيس الحلبي —
١٩٥١ م.
- ٦٥ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال الذهبي السعادة — القاهرة —
١٣٢٥ هـ.
- ٦٦ — ناسخ القرآن ابن الجوزي الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.
- ٦٧ — نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنواظر (ابن الجوزي — تحقيق
الست سهرلنا المعارف — الهند ١٩٧٤ م).
- ٦٨ — النشر في القراءات العشر الجزري.
- ٦٩ — النص القرآني بين التفسير والتأويل الدكتور عبد الفتاح ابراهيم
سلامة رسالة دكتوراه — كلية أصول الدين — القاهرة.
- ٧٠ — هدى الساري مقدمة فتح الباري ابن حجر العسقلاني الادارة
الطباعة المنيرية ١٩٤٧ م.
- ٧٠ — وفيات الأعيان في أبناء أبناء، الزمان شمس الدين بن خليكان تحقيق
حسان عباس دار صادر بيروت ١٩٧٨.

فهرس المحتويات

٥ المقدمة
٩ المبحث الأول
١٣ التعريف بكلمة مناهج، تفسير، تاويل
١٦ مدى الحاجة إلى علم التفسير
١٩ علم النبي ﷺ وفهم الصحابة للقرآن
٢٢ ما يحتاج إليه المفسرون لكلام الله عز وجل
٢٤ مصادر التفسير في العصر الأول
٢٨ المفسرون من الصحابة
٢٩ حكم تفسير الصحابي
٢٩ خصائص التفسير في العصر الأول
٣١ مصادر التفسير في العصر الثاني (عصر التابعين)
٣٢ مدارس التفسير في عصر التابعين
٣٤ قيمة التفسير المأثور عن التابعين
٣٤ خصائص التفسير في هذا العصر
٣٥ مراحل التفسير
٤٣ تفسير الآيات الكونية بين المؤيدين والمعارضين
٥٢ النموذج الأول التفسير العلمي في أقوال المؤيدين
٥٦ النموذج الثاني التفسير العلمي في أقوال المعارضين
٦٢ التوفيق بين الفريقين
٦٥ المبحث الثاني
٦٩ أنواع التفسير
٦٩ النوع الأول التفسير بالمأثور
٦٩ معناه
٦٩ نشأته

٦٩	مقدار الثقة به
٧٠	أهم الكتب المؤلفة فيه
٧٠	النوع الثاني التفسير بالرأى
٧٠	معناه
٧١	نشأته
٧١	موقف العلماء منه
٧٥	المبحث الثالث
٧٧	مناهج أصحاب التفسير بالأثر
	منهج التفسير بالمأثور ومدى الحرص التام على تنقيه
٨٣	مايعول عليه من جهة السند والمتن معا
٨٨	نماذج من الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور ودراستها
٨٨	التفسير بالأثر المجرد
٩١	اللذر المنثور في التفسير بالمأثور
٩١	التعريف بالمؤلف
٩١	التعريف بتفسيره
٩٣	نماذج من هذا التفسير ودراستها
٩٣	النموذج الأول في الاحكام
١٠٤	التعقيب
١٠٦	النموذج الثاني مسئولية الانسان عن عمله
١٠٩	التعقيب
١١٠	النموذج الثالث في القصص القرآني
١١١	رأى شيخ الاسلام ابن تيميه فيما يؤخذ عن أهل الكتاب
١١٣	التعليق العام
١١٤	تنبیه
١١٥	التفسير بالاثـر مخلوطا بالرأى
١١٩	جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير
١١٩	التعريف بصاحب الكتاب
١١٩	مولده
١١٩	نشأته وثقافته

١٢٢	وفاته
١٢٣	منهجه في تفسيره
١٣١	النموذج الأول في الاحكام
١٤٧	التعقيب
١٤٨	النموذج الثاني مسئولية الانسان عن عمله
١٥٠	التعقيب
١٥١	النموذج الثالث القصص القرآني
	الدراسة المستفيضة مما أخذه أهل التفسير عن أهل الكتاب وما هو
١٥٦	في كتبهم
١٥٧	مواقف القرآن مع بعض الانبياء
١٥٨	التعليق العام
١٥٩	تنبيه
١٦١	زاد المسير في عالم ائتفسير لابن الجوزي
١٦١	التعريف بالمؤلف
١٦١	مولده
١٦١	نشأته وثقافته
١٦٢	خلقه وعباده
١٦٢	مكانته وآثاره العلميه
١٦٤	التعريف بهذا التفسير ومنهج مؤلفه فيه
١٦٦	النموذج الأول في الاحكام
١٦٨	التعقيب
١٦٩	النموذج الثاني مسئولية الانسان عن عمله
١٧٠	التعقيب
١٧١	النموذج الثالث في القصص القرآني
١٧٢	التعليق العام
١٧٤	تفسير القرآن العظيم لابن كثير
١٧٤	مؤلف هذا الكتاب
١٧٤	نشأته وثقافته
١٧٤	مصنفاته

١٧٤ مكانته العلمية
١٧٥ اخلاقه
١٧٦ وفاته
١٧٧ منهجه في تفسيره
١٨١ النموذج الأول
١٨٥ التعقيب
١٨٦ النموذج الثاني
١٨٧ التعقيب
١٨٨ النموذج الثالث
١٨٨ التعقيب
١٨٩ التعليق العام
١٩٠ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن
١٩٠ التعريف بمؤلف الكتاب
١٩٠ مولده
١٩٠ نشأته
١٩٠ طلبه للعلم
١٩١ مؤلفاته
١٩٣ منهجه في تأليفه
١٩٥ النموذج الأول
١٩٥ التعقيب
١٩٦ النموذج الثاني
١٩٨ التعقيب
١٩٩ النموذج الثالث
١٩٩ التعقيب
٢٠٠ التعليق العام
٢٠٣ تفسير يحيى بن سلام
٢٠٣ التعريف بمؤلف هذا الكتاب
٢٠٣ التعريف بالكتاب
٢٠٤ منهج المؤلف فيه

٢٠٤	رجاء
٢٠٥	الخاتمة
٢٠٩	المراجع
٢١٥	الفهرس



مطابع المَرْزُوق التجارية - الرياض

المعذر ٤٨٢٤٩٨٣ / ٤٨٢٤٨٦٥